١٥٣
www.rewity.com

روايات احلام

أعطني ظل النسيان

www.rewity.com
www.rewayti.net

اعطني ظل النسيان

مدت ستيفاني يدها لتقطف ثمار السعادة ولكن كل ما جنته يداها كان السراب....
بعدما ظنت انها استعادت راحة بالها وبنت سدا منيعا في وجه كابوس الماضي, ظهر
جيرار تينيل ليعيدها الى قفص الاتهام...
في محكمة قاضيها من كان حبيبها واصبح عدوها,
من يريد الان تنفيذ حكمه المبرم فيها.....
– تريدين صمتي؟ ... لك ذلك , ولكن بشرط واحد...
لم تساله عن شرطه... عيناه اظهرتا بوضوح ما يريد,
وارتجف جسمها كرها...
ما دامت ذكرياتها معه وتوسلها اليه لا يستطيعان ان يرد انتقامه,
فما الذي يدفع هذا الرجل ويجعله يتصرف معها بهذه القسوة؟

www.rewity.com

روايات أحلام

مجلة قصصية اسبوعية تصدر عن شركة دار الفراشة
للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م

العنوان: لبنان ـ بيروت ـ طريق المطار ـ قرب جسر المطار
سنتر زعرور ـ الطابق الثالث
ص. ب: ٨٢٥٤/١١ ـ بيروت ـ لبنان
هاتف/ فاكس: ٨٤١٤٠٢ ـ ١ ـ ٩٦١

المدير المسؤول: آمال سابا الهاشم

جميع حقوق الطباعة والنشر والاقتباس
والتأليف محفوظة للشركة

التوزيع: الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات

تنفيذ وطباعة مؤسسة دلتا للطباعة والنشر
ـ حارة حريك ـ تلفاكس ٥٥٧٢٣٦/ ٠١ ـ خلوي ٢٨٧١٥٨/ ٠٣.

١ ـ على شفتيه ابتسامة

تاولتْ ستيفاني ستيوارت المفتاح للمرأة الواقفة في الجهة الأخرى لمكتب الاستقبال وهي تبتسم بتهذيب:

ـ أرجو أن تشعري هنا بالراحة التامة، سيدة غراهام. سيحمل لك جورج حقائبك فوراً. ستنزلين في الطابق الثاني، خذي اتّجاه اليمين لدى خروجكِ من المصعد الكهربائي، فغرفتكِ في وسط الممرّ.

ـ هل من الممكن أن ترسلوا إلى غرفتي قليلاً من الشاي على جناح السرعة؟

قالت المرأة ذات الشعر الرمادي هذا، وهي تنظر إليها: إنني في غاية التعب، وأكاد أموت حسرة لأشرب فنجاناً من الشاي.

أومأت ستيفاني برأسها وهي تنظر إلى المرأة باهتمام، فبدت لها متعبة جداً:

ـ بكل تأكيد، سأحضّر طلبك في أسرع وقت. هل أقدر أن أخدمك في شيء آخر سيدة غراهام؟ أرجوكِ، لا تتردّدي! نحن هنا لمساعدة ضيوفنا.

ـ هذا لطف منكِ، ولكن كلّ ما أريد فنجاناً من الشاي وحمّاماً ساخناً وساعة أو ساعتين من النوم والراحة، وبعدئذ سأكون على ما يرام.

كانت السيدة غراهام نحيلة جداً وشاحبة، وشكلها يلفتُ النظر.

www.rewity.com/vb ستو وايت

تمنّت ستيفاني ألاّ تكون مريضة، فقد لاحظت ذلك بسرعة من ملامح وجهها ومن شفتيها الضاربتين إلى الزرقة ومن خطوط التعب البادية على محيّاها. بعد الذي لاحظته لن تتعجّب أو تتفاجأ إذا علمت أنّ السيدة غراهام تشكو من ظروف صحيّة صعبة. راقبتها تمشي باتجاه المصعد متجهمة الوجه، ثم تناولت بطاقة السيدة غراهام الشخصية، وكتبتْ عليها عبارة «متعبة».

تلك كانت العادة المتبعة في مؤسسة «واي فيل آرمز» في منهجها المتعلّق بالعناية الخاصة بنزلائها بتسجيل ما يحبّون وما يفضّلون وكيف هي أخلاقهم وما هي نقاط ضعفهم، فهذه الطريقة تساعد الموظفين على خدمة الزبائن بسرعة. في حال وصل مثلاً إلى الفندق ضابط متقاعد غريب الأطوار فعندئذ لن يتكدّر ويشعر بالإهانة إذا طلب إحدى الجرائد الصباحية فأعطي سهواً جريدة أخرى غيرها، أو إذا قُدّم له فنجان من الشاي الصيني بينما هو لا يشرب سوى الشاي الهندي أو إذا قُدّم له لحم مشويّ على نار خفيفة، بينما هو يفضّله طرياً.

وضعت ستيفاني بطاقة السيدة غراهام في الجارور المخصّص للمعاملات اليومية ثم نظرت إلى ساعتها، فتجهّم وجهها لأنّ «آنيا» تأخرت مُجدّداً. إنها الساعة السادسة وعشرة دقائق علماً أنّ دوام عملها ينتهي في تمام الساعة السادسة. ولكنّ الموظّفة التي تحلّ مكانها «آنيا كارتر» تحاول دائماً أن تتأخّر بعض الوقت عن موعد عملها وأن تخرج كذلك قبل أوان انتهاء دوامها إلاّ إذا كان المدير براقبها.

أطلّت «جيل» من الباب الموجود وراء ستيفاني. ما إن رأتها قادمة حتى نظرت إلى الممرّ، وسألتها وهي تراقب تعابير وجهها:

ـ أين هي آنيا؟

لا تأخير بعد اليوم! تعدّت حدودها... لن أسمح لها بعد الآن

بالتمادي بتصرّفها، هذه وقاحة!

ـ إن لم تحضر بأقرب وقت، فسأضطر إلى إجراء مخابرة هاتفية للسيد «وود»... ليس هناك أية طريقة أخرى. لن أقدر أن أعمل لوقت متأخر هذه الليلة.

ـ بالتأكيد، فأنتِ ذاهبة إلى حفلة، أليس كذلك؟

ـ أجل فأنا مرتبطة ومضطرة للذهاب إلى حفلة «اليزابيث» الراقصة التي لن أفوّتها، إذ لن تسامحني السيدة كاميرون أبداً.

كانت ستيفاني تتكلم بمرح ولكنها كانت نصف جادة، فالسيدة كاميرون لطيفة جداً ومرحة ولكنها في الوقت نفسه قاسية ومتحفظة بخصوص ما تتوقّعه من الناس. لقد قبلت الدعوة لحضور حفلة «اليزابيث» التي تتوقّع السيدة كاميرون منها حضورها.

ردّدت «جيل» ذلك بسخرية:

ـ السيدة كاميرون؟ هل تعنين «إيوان»؟

فهزّت ستيفاني رأسها:

ـ أوه! أعلم، بإمكانك أن تفعلي به ما يحلو لك ولكن ليس مع أمه؟

هناك شيء من هذا القبيل، رقصت عينا ستيفاني الزرقاوان وظهرت علائم السعادة على فمها، وهذا ما دعا «جيل» إلى الهزء بها مجدّداً. فردّدت بشيء من الحسد:

ـ تحملين علاقتك به على محمل الجدّ، أليس كذلك؟ فكّري هل هو الشخص الذي تريدينه عن حق؟

«جيل إيفنز» قطعت علاقتها لتوها مع صديقها وهي تمرّ حالياً بمرحلة من الانهيار النفسي والشك، ممّا جعلها كئيبة بعض الشيء.

وضعت ستيفاني يديها خلف ظهرها، وأجابت:

- ربّما، من يعلم؟

ثم شاهدت «أنيّا» نائمة في غرفة الاستقبال فقالت لها:

- أوه! ها قد أتيتِ أخيراً! لقد تأخرت حوالى خمس عشرة دقيقة، أليس كذلك؟ يا «أنيّا» أنا على موعد مهمّ هذه الليلة.

كانت أنيّا قد حضّرت حجتها واعتذارها كالعادة.

- أنا آسفة ستيف، لكن الباص سار ببطء. لم تكن غلطتي، أقسم بشرفي.

تبادلت جيل ومستيفاني النظرات.

قالت لها جيل:

- من المستحسن أن تستقلي في المستقبل الباص الذي ينطلق في وقت مبكر، لأن هذا الذي تستقلينه يسير ببطء على الأقل مرة في الأسبوع.

فابتسمت أنيّا أما ستيفاني فلم يكن لديها وقت لتضيّعه تلك الليلة، فهرولت إلى غرفة الموظفين لتأخذ سترتها، ثم توجهت مع جيل إلى مدخل الفندق. فجأة، توقفت سيارة أجرة أمام الفندق ونزل منها زائر جديد. عبثاً، حاولت ستيفاني أن تراقبه خارجاً من التاكسي.. فقد كان يدير رأسه لينظر إلى العدّاد الموجود في التاكسي وكان الهواء يلفح شعره الذهبي إلى الوراء.

أحسّت فجأة بتشنّج قوي يضرب عضلات معدتها، هذا غير معقول! لن يفعل القدر بها ذلك! كانت جيل أيضاً تُراقب، ومن غير حياء انطلقت من شفتيها صفارة خفيفة، من هذا؟

تمتمت جيل:

- أرجو أن يكون نزيلاً في الفندق، نحن بانتظار نزيل آخر هذه الليلة. ألا تعرفين اسمه؟

لم تُجبها ستيفاني وسارعت تخطو بضع خطوات إلى الأمام، ولكنها لم تمشِ بالأحرى بل كانت تركض. لم تنظر إلى الوراء ولا تحتاج إلى ذلك، فهي تعرف اسمه، أما الفندق فلا ينتظره، لأنها لم تنسَ ذلك الاسم المدرج على لائحة النزلاء المنتظرين.

رافقتها جيل إلى السيارة وهي تلهث: «أنتِ في عجلةٍ من أمرك لتذهبي بعيداً».

- باستطاعتك أن تقولي ذلك مرة أخرى.

كانت ستيفاني تفكّر وهي تفتح باب سيارتها، ماذا يفعل هنا؟ ما الذي حمله إلى هذه الأرض؟ لم يحجز مسبقاً، ربّما سيبقى فقط لليلة واحدة ولأسباب عارضة أو لعله في طريقه إلى مكان ما وسيذهب في الصباح الباكر... شكراً لك يا الله، لأنه لم يصل قبل عشر دقائق أي عندما كانت في مكتب الاستقبال... ثمّ ارتمت على مقعد السيارة خلف الموقد، وهي ترتجف، إنّ مجرّد التفكير في إيجاد نفسها أمامه في مكتب الاستقبال تنظر إليه ببراءة وعفوية، يجعل دماءها تتجمّد في عروقها.

قالت جيل وهي تثبّت حزام السلامة:

- أرجو ألا يكون نزيلاً لليلة واحدة فقط! لا يبدو تاجراً متجوّلاً فلنأمل أن يبقى هنا حتى نهار الأحد.

فكرت ستيفاني وهي تُدير محرّك السيارة: أرجو ألاّ يكون كذلك.

فيما كانت تحاول الخروج بسيارتها من موقف الفندق رأت سائق التاكسي يقود سيارته بشكل نصف دائري ليتّجه بعيداً. وكان النازل الجديد قد اختفى عن أنظارهما، لكنّهما شاهدتا جورج البوّاب يمسك بيديه حقيبتين جلديتين كبيرتين ويحاول أن يشق طريقه عبر الأبواب المتحرّكة. فعلّقت جيل قائلة:

- ربّما، من يعلم؟

ثم شاهدت «أنيّا» نائمة في غرفة الاستقبال فقالت لها:

- أوه! ها قد أتيتِ أخيراً! لقد تأخرت حوالى خمس عشرة دقيقة، أليس كذلك؟ يا «أنيّا» أنا على موعد مهمّ هذه الليلة.

كانت أنيّا قد حضّرت حجتها واعتذارها كالعادة.

- أنا آسفة ستيف، لكن الباص سار ببطء. لم تكن غلطتي، أقسم بشرفي.

تبادلت جيل ومستيفاني النظرات.

قالت لها جيل:

- من المستحسن أن تستقلي في المستقبل الباص الذي ينطلق في وقت مبكر، لأن هذا الذي تستقلينه يسير ببطء على الأقل مرة في الأسبوع.

فابتسمت أنيّا أما ستيفاني فلم يكن لديها وقت لتضيّعه تلك الليلة، فهرولت إلى غرفة الموظفين لتأخذ سترتها، ثم توجهت مع جيل إلى مدخل الفندق. فجأة، توقفت سيارة أجرة أمام الفندق ونزل منها زائر جديد. عبثاً، حاولت ستيفاني أن تراقبه خارجاً من التاكسي.. فقد كان يدير رأسه لينظر إلى العدّاد الموجود في التاكسي وكان الهواء يلفح شعره الذهبي إلى الوراء.

أحسّت فجأة بتشنّج قوي يضرب عضلات معدتها، هذا غير معقول! لن يفعل القدر بها ذلك! كانت جيل أيضاً تُراقب، ومن غير حياء انطلقت من شفتيها صفارة خفيفة، من هذا؟

تمتمت جيل:

- أرجو أن يكون نزيلاً في الفندق، نحن بانتظار نزيل آخر هذه الليلة. ألا تعرفين اسمه؟

لم تُجبها ستيفاني وسارعت تخطو بضع خطوات إلى الأمام، ولكنها لم تمشِ بالأحرى بل كانت تركض. لم تنظر إلى الوراء ولا تحتاج إلى ذلك، فهي تعرف اسمه، أما الفندق فلا ينتظره، لأنها لم تنسَ ذلك الاسم المدرج على لائحة النزلاء المنتظرين.

رافقتها جيل إلى السيارة وهي تلهث: «أنتِ في عجلةٍ من أمرك لتذهبي بعيداً».

- باستطاعتك أن تقولي ذلك مرة أخرى.

كانت ستيفاني تفكّر وهي تفتح باب سيارتها، ماذا يفعل هنا؟ ما الذي حمله إلى هذه الأرض؟ لم يحجز مسبقاً، ربّما سيبقى فقط لليلة واحدة ولأسباب عارضة أو لعله في طريقه إلى مكان ما وسيذهب في الصباح الباكر... شكراً لك يا الله، لأنه لم يصل قبل عشر دقائق أي عندما كانت في مكتب الاستقبال... ثمّ ارتمت على مقعد السيارة خلف الموقد، وهي ترتجف، إنّ مجرّد التفكير في إيجاد نفسها أمامه في مكتب الاستقبال تنظر إليه ببراءة وعفوية، يجعل دماءها تتجمّد في عروقها.

قالت جيل وهي تثبّت حزام السلامة:

- أرجو ألا يكون نزيلاً لليلة واحدة فقط! لا يبدو تاجراً متجوّلاً فلنأمل أن يبقى هنا حتى نهار الأحد.

فكرت ستيفاني وهي تُدير محرّك السيارة: أرجو ألاّ يكون كذلك.

فيما كانت تحاول الخروج بسيارتها من موقف الفندق رأت سائق التاكسي يقود سيارته بشكل نصف دائري ليتّجه بعيداً. وكان النازل الجديد قد اختفى عن أنظارهما، لكنّهما شاهدتا جورج البوّاب يمسك بيديه حقيبتين جلديتين كبيرتين ويحاول أن يشق طريقه عبر الأبواب المتحرّكة. فعلّقت جيل قائلة:

ـ أراهن أنه رجل متزوّج، ولكن أفضل الرجال هم المتزوّجون.

بدت غير مبالية بصمت ستيفاني وراحت تثرثر بهدوء خلال تجوالهما في شوارع «واي فيل» المزدحمة ليلة السبت.

الفندق بعيد عن الشاطىء، ومع ذلك كانت قادرة على مشاهدة منظر البحر من بعض الغرف المتواجدة في الطبقات العلويّة، لم تكن المدينة الصغيرة متنعماً شعبياً الآن مع أنّها كانت في الأجيال الماضية في أوج عزّها خلال أعياد النصر التي كانت تقام على الشاطىء.

كانت «واي فيل» في حالة ركود منعزلة، تحيط بشوارعها أبنية مبعثرة أمام شاطىء البحر يشهد القليل منها حركة تجارية جيدة حتى في أفضل الفصول. أما الآن في أوائل الربيع، فمعظم المحلات التجارية مقفلة بانتظار إطلالة الصيف، ويخيّم على المدينة الصغيرة جوّ من الحزن كعروس مهجورة، جمالها يتلاشى ويتبخّر وضيوفها يذهبون بلا رجعة ومستقبلها واهن كثيب. كانت «ستيفاني» ترتجف، فتوقّفت جيل عن الثرثرة.

ـ هاي! هل أنت على ما يرام؟ تبدين شاحبةً، لم ألاحظ ذلك.

أجابت ستيفاني وهي تحاول أن تبتسم غصباً عنها: أعتقد أنني تعبة.

ولجت السيارة إلى المنطقة السكنيّة الجديدة الموجودة في ضاحية المدينة حيث تعيش مع أهلها في أحد المنازل النقّالة المصنوعة من الخشب والمتواجدة في إحدى الحدائق. قبل رحيلها التفتت ستيفاني إلى رفيقتها وقالت لها:

ـ أرجو أن تمضي عطلة أسبوع جيدة.

ـ وأتمنى لك ذلك أيضاً... تصرفي بحذر في الحفلة وإلا اعتبرتك السيدة كاميرون كنّة غير مناسبة.

حاولت ستيفاني أن تضحك، مع أن ذلك غير مضحك. لقد تعرّفت إلى إيوان منذ ثلاثة أشهر فقط وحتى هذا التاريخ لم يتطرقا قطّ إلى موضوع الزواج.

غمزتها جيل بطرف عينها وقالت لها: «فكري في الموضوع! فكّري! أنا أراهن...».

ثم خرجت من السيارة وأغلقت الباب وراءها بعنف وهذا ما جعل ستيفاني ترتجف ثم راح رأسها يرتجّ، لكنها تمنّت ألا تصاب بذلك النوع من وجع الرأس الذي لا يفارقها طوال الليل فسيقضي على الحفلة.

ولكن قُضي عليها مسبقاً... تقبّلت ذلك بمرارة وهي تترجّل من سيارتها. لقد تاقت إلى هذه الليلة طوال الأسبوع، ولكنّها الآن تتمنى عدم الذهاب لأنها بحاجة إلى الانفراد بنفسها بضع ساعات لتفكّر في الموضوع فالأسئلة العديدة تتلاعب برأسها. تساءلت: ماذا يفعل هنا؟ أيعرف أنها تعيش وتعمل في «واي فيل»؟ كم سيمكث؟ أهو القدر الذي قاده إلى هنا؟

ضغطت على المكابح قليلاً وسحبت نفساً عميقاً، والقلق يملأ فكرها، تساءلت: ربّما كان ذلك مجرد صدفة، لن يكون غير ذلك، بل هي ترفض أن تفكّر في احتمال آخر. راودها شعور بعدم الراحة لمجرّد رؤيته خارج الفندق حيث تعمل. لقد بدأت للتو تشعر بحياة جديدة هانئة... ها هي الكوابيس الليليّة تتلاشى تدريجياً من ذاكرتها. لن يكون القدر قاسياً عليها ليعيد كل شيء من جديد.

كانت مرتبكة ارتباكاً شديداً جعلها تخطىء في المنعطف الذي يقودها إلى بيتها. ضغطت على المكابح فجأة فانزلقت السيارة على الأسفلت المشبع بالماء. كانت تمطر بغزارة في ذلك النهار ولم تلاحظ

ذلك لأنها كانت مشغولة الفكر كثيراً.

عندما سلكت المنعطف باتجاه اليمين سمعت وراءها زمور سيارة مزعجاً، نظرت إلى مرآة السيارة فرأت أخاها روبرت يتبعها بسيارته الفورد الجديدة. تابعت المسير حتى أوقفت سيارتها خارج المنزل.

اتّجه روبرت بسيارته إلى الطريق القصيرة حيث توقّف وأخرج رأسه من نافذة السيارة، وهو يقول لها بسخرية:

ـ هل تحاولين قتل أحد؟ بم تحلمين؟ كان عليك عوض ذلك التركيز على قيادة السيارة.

ترجلت ستيفاني من سيارتها واتجهت نحوه. من الصعب على الغرباء أن يحزروا أنهما أخوان. كانا متشابهين فقط بلون شعرهما الأسود الداكن. روبرت قوي البنية، في الثلاثين من عمره، متجهّم الوجه، قوي الشخصية، حلو المزاج من وقت إلى آخر. أما ستيفاني فنحيلة الجسم، هيفاء ودودة، جميلة وجذّابة، سريعة الانفعال، في عينيها مسحة من الحزن والكآبة.

عندما اقتربت من روبرت قالت له:

ـ هل طردوك من المستشفى لأنك تقتل المرضى؟ أنت تعود باكراً إلى البيت.

أجابها ضاحكاً وهو يمشي معها نحو مدخل المنزل:

ـ بقليل من الحظ نجوا جميعهم اليوم.

ـ هل لدى «غوين» مناوبة هذه الليلة؟

أومأ برأسه إيجاباً فزوجته تعمل أيضاً في المستشفى الذي يعمل فيه، ولكن في قسم آخر. لذا كانت تتواعد معه لتستطيع أن تراه مرة في الأسبوع فيتناولان الغداء. تردّد غوين دائماً أنهما كانا يلتقيان قبل الزواج أكثر ممّا يلتقيان حالياً. هذا الوضع المؤلم يزعجهما كثيراً ولكنّها

ظروف العمل وليس باليد حيلة.

ضحكت ستيفاني وهي تقول له:

ـ مسكين روبرت! ألاحظ علامات الإحباط على محياه.

مال بوجهه إليها وقال:

ـ لا بأس! لا بأس! اضحكي. انتظري حتى تتزوجي طبيباً فعندئذ ستجدين أن ذلك غير مضحك.

ثم فتح الباب المقابل أما هي فمشت في الصالة الكبيرة. لديها فوق المرآب شقة صغيرة منفردة في الطابق العلوي، ولكن عندما يكون لدى غوين مناوبة ليلية في المستشفى، تقوم ستيفاني بتحضير العشاء لأخيها روبرت. وكثيراً ما كان يعترض مدّعياً أنّ باستطاعته أن يتناول بعض المعلّبات المثلّجة، ولكن ستيفاني تفضّل أن تحضّر له طعاماً حقيقياً مغذّياً.

قالت بعصبية:

ـ أتمنى أن لا يتزوج «ايوان» وأنا كذلك.

نظر أخوها إليها وهو يتساءل:

ـ هل من خطب؟

ضحكت: لا... لا خطب أبداً.

لم تستطع إخباره من رأت هذا المساء في الفندق، فلدى روبرت مشاكل كثيرة لذا هو يغنى عن المزيد... كما أنها تدين له بالكثير ولا يمكنها أن ترد له معروفه. لقد ساعدها وساندها كثيراً عندما كانت بحاجة إلى من يقف قربها.. إنها تثق به وتتكل عليه... حدث ذلك منذ خمس سنوات، وكانت وقتذاك صغيرة جداً وها هي اليوم تشعر أنها عجوز، أجل عجوز.. إنها كبيرة جداً لتتحمل مشاكلها الخاصة من دون أن تزعج أخاها بمتاعبها. لديه زوجة يعتني بها.

ـ هل تخاصمت مع «إيوان»؟

نظرت إليه ستيفاني مذهولة ثم ضحكت:

ـ لا، بالتأكيد.

ـ لا! لا أصدق أن إيوان يتخاصم مع أحد. إنه السيد «الصقيع» بالذات، أليس كذلك؟ تحسن والدته توجيهه، ولكنها تثير عصبيتي. أنا متأكد أنّ إيوان هو ولد كامل، وهو لا يتجرّأ أن يكون غير ذلك.

نظرت ستيفاني إلى أخيها بقلق وهي تقول:

ـ ألا تحبّ السيدة كاميرون؟

ـ لا سبب يدعوني إلى كرهها، إنها لطيفة وموزونة.

ثم مشى إلى الدرج وهو يقول:

ـ سأستحم وأحتسي فنجاناً من الشاي وأخلد إلى الراحة ساعة ونصف. بعد ذلك قد أشعر برغبة في الذهاب إلى حفلة «اليزابيث». أما في الوقت الحاضر فلا رغبة عندي في ذلك، ففي الأربع والعشرين ساعة الماضية عملت حوالى سبع عشر ساعة ويجب علي أن أحمد الله لأنني لست جرّاحاً وإلاّ كان عليّ أن أظلّ طوال الوقت واقفاً. على الأقل طبيب البنج قادر على الجلوس، فلنحمد الله على ذلك!

ثم اختفى صوته تدريجياً بعد ارتقائه الدرجات.

يعمل روبرت على هذا النحو منذ أربعة أشهر براتب ضئيل... لكي تساعد أخاها اضطرت ستيفاني إلى تسديد قيمة الإيجار لأن النقود التي تحصل عليها زوجته غوين من عملها كممرّضة تذهب بمعظمها إلى مؤسسة خاصة لادخارها حتى تتمكّن بعد سنتين من ترك العمل إذا ما رزقت طفلاً. لذلك وضعت هي وزوجها خطة عسكرية لنمط حياتهما ربما تتحسّن أحوالهما المادية.

دخلت ستيفاني إلى المطبخ وحضّرت السلطة التي ستقدّمها إلى

جانب طبق من عجينة الجبنة. ثم صعدت إلى شقتها لتحضّر نفسها للحفلة، فاغتسلت بسرعة وارتدت ثوبها الحريري المرجاني اللون ووقفت بضع دقائق أمام المرآة ترتب هندامها وبعد ذلك عادت إلى المطبخ ونادت روبرت الذي كان يستحم:

ـ سيجهز العشاء بعد عشر دقائق. لا تنسَ ارتداء بزّة السهرة فقد نخرج إلى مكان ما بعد الحفلة الراقصة! من يدري؟

ـ قالت غوين إنها ستلاقينا إذ استطاعت أن تترك عملها في تمام الساعة العاشرة إلى النادي الليلي.

ـ بثياب العمل؟

ـ لا! ستبدل ثيابها في المستشفى، حملت معها ثوبها الجديد.

ـ أسرع، وارتدِ ثيابك.

عادت ستيفاني إلى المطبخ وهي تنظر بقلق إلى الساعة... يجب أن تُخرج بسرعة عجينة الجبنة من الفرن وأن تتناولها مع أخيها قبل أن تُتلف. حضرت الطاولة ولكن أين روبرت؟ عندما سمعت وقع قدميه على الدرج، أخرجت الجبنة من الفرن فجلسا إلى الطاولة يتناولان طعامهما.

بعد ساعة ونصف كانا يسيران بسيارتهما صعوداً باتجاه منزل كاميرون وهو بناء رائع، تعلوه أبراج جميلة، يشبه سائر المنازل الرائعة التي بنيت في العهد الفيكتوري على يد البنّاء الشهير هاميش كاميرون وهو من مدينة أدنبارغ، جاء واستقرّ في وادي فيل وبنى هذا المنزل الرائع في تلة عالية تطلّ على المدينة. لقد عاش هاميش كاميرون حتى بلغ سنّ الخامسة والتسعين وتزوّج للمرة الثالثة وهو في سنّ الستين ورزق بولد دعاه هاميش الثاني عاش تحت سيطرة أبيه الشيخ، فنشأ عصبي المزاج، وكان يحلم أن يصبح فنّاناً، ولكنّ والده أجبره على العمل في مؤسّسته

www.rewity.com/vb

وعلى الزواج بابنة عمه مارغو. فأطاع هاميش والده ولكنه مات في سن الثالثة والأربعين إثر نوبة قلبية. وكان يسبح آنذاك مع ولده الصغير إيوان الذي أخبر ستيفاني ذات مرة بأنّ والده عاش حياة تعسة ولم يتمكن قطّ من تحقيق هوايته بسبب انهماكه بإدارة المؤسّسة.

بعد موت زوجها استلمت مارغو كاميرون إدارة مؤسسة زوجها التي تتعاطى أعمال الهندسة والبناء وأحرزت نجاحاً باهراً في تطويرها، وهي الآن تأمل أن تسلّم الإدارة لولدها إيوان. لكنّ لدى إيوان مخطط آخر إذ قرّر أن يصبح طبيباً منذ اللحظة التي شاهد فيها والده يلاقي حتفه على شاطىء البحر. كان إيوان ولداً هادئاً، لطيفاً وعطوفاً، ولم تفكر والدته قطّ في أن صعوبات ومشاكل ستقع بينها وبينه.. لم تستطع أن تقنعه بالتخلي عن تصميمه على الالتحاق بكلية الطبّ، فقد التحق إيوان بمستشفى واي نيل في قسم الجراحة بعدما تخصّص في أمراض القلب. أما والدته فظلت تدير المؤسسة بنجاح.

تُقام حفلة الليلة بمناسبة خطوبة شقيقة إيوان «إليزابيث» وجون باري المهندس الذي يعمل في مؤسّسة السيدة كاميرون. زواجه سيؤمّن له مستقبلاً زاهراً لأنه سيساعد السيدة كاميرون في إدارتها باعتباره فرداً من العائلة. وقد انطلقت الإشاعات في المدينة تؤكّد أنّه زواج مصلحة لا زواج حبّ ولكن أهل المدينة يجهلون أنّ إليزابيث وجوني متحابان كثيراً وستيفاني تعلم ذلك.

بينما كان روبرت يوقف سيارته في المكان الوحيد المتبقّي في ساحة المنزل، استرعى انتباهه منظر النوافذ المتلألئة بالأنوار وظلال الطابق العلوي التي بدت تحت أضواء القمر الفضّية أشبه بمشهد رائع في أحد أفلام الرعب. خاطب شقيقته وهي تحاول الترجل من السيارة قائلاً:

ـ أليس منزلاً نموذجياً؟ أتأملين أن تسكني مع إيوان في هذا المنزل؟

أدارت ستيفاني وجهها إليه وقالت له غاضبة:

ـ بحق السماء لماذا تحاول دائماً أن تزوّجنا مع أننا لم نتطرق إلى هذا الموضوع يوماً؟ حذار أن تزعج السيدة كاميرون أو إيوان بأسئلتك المريبة.

يكفيها ما تشعر به هذه الليلة من الهموم علاوة على أسئلة أخيها المزعجة بخصوص مسألة زواجها بإيوان، لأنها لا تشعر أنها أتت إلى هذه الحفلة للترويح عن النفس خاصة وهي تجهل سبب وجود «جيرار نيتيل» في المدينة وكم سيبقى فيها؟

ظنّت أنها خلّفت كل ذكريات الماضي وراء ظهرها، لكنّها اليوم تشعر أنها قرب متفجرة مُبرمجة قد تنفجر في أية لحظة فتدمر الحياة الجديدة التي بنتها بعناية. لاحظ أخوها ارتباكها فقال لها:

ـ سألزم الصمت ولن أتكلم أبداً.. لا تتكدّري يا صغيرتي!

أمسكت ستيفاني يد روبرت خلال سيرهما نحو المنزل وقالت له بتسامح:

ـ لا تحاول اختباري!

ضغط روبرت على يدها مبتسماً.

ـ لقد مررتِ بظروف صعبة في الماضي، وأنا أدرك شعورك، وأرجو أن يصبح كل ذلك في طيّ النسيان. أريد منك أن تكوني سعيدة فإيوان شاب طيب.

دفعته برفق بكتفها:

ـ لا بأس! أنت غبي ولكنك صفقة رابحة لي.

ـ كيف أعتبر ذلك؟

ما إن انفتح الباب الأمامي حتى ظهر إيوان. كان شعره الأحمر يلمع

تحت الأضواء وبدت السيدة كاميرون في غاية الأناقة بثوبها الرسمي الخاص بهذه المناسبة.

قال إيوان وهو يعانق ستيفاني بلطف: أهلاً، أهلاً، تبدين رائعة! ستعجب والدتي كثيراً بهذا الثوب الجميل فهي تحب الألوان الوردية كثيراً أو المرجانية كما يدعونها في محلات الألبسة.

كانت ستيفاني قد اختارت هذا الثوب الحريري الأنيق لتلفت انتباه السيدة كاميرون، لأنها كانت تعرف ذوقها في الثياب المحتشمة والأنيقة التي تعطي انطباعاً خاصاً عن شخصية صاحبتها. ولكن ربما لن يُلفت فستانها اهتمام السيدة كاميرون المنهمكة باستقبال ضيوفها.

والتفت إيوان إلى روبرت مرحّباً:

ـ مررنا اليوم في المستشفى بوقت عصيب أليس كذلك؟ كيف حالك؟ هل أنت متعب مثلي؟

ـ أنا في حالة يرثى لها... لقد نصحتني الأخت موريس بالخلود إلى النوم قليلاً ريثما يدخلون إلى غرفة العمليات المريض الآخر، لكن ما كدت أغمض عيني حتى أحست بالأخت موريس تدفعني بقوة لأنهض. إنها امرأة مضحكة، فهي لم تسامحني قطّ لأنني تزوجت غوين. تكره زواج الأطباء من الممرضات.

ـ هل ستتمكّن غوين من المجيء إلى هنا هذه الليلة؟

ـ لا أدري! ستحاول المجيء في الساعة العاشرة إن لم تكن في المستشفى أية حالة طارئة... كن حريصاً ولا تتزوّج أبداً ممرضة!

ارتبكت ستيفاني من دعابات أخيها المحرجة ولكنّ روبرت ابتسم وإيوان ضحك أيضاً وهو ينظر إلى عينيّ ستيفاني وسألها:

ـ أنتِ لا تفكرين أن تصبحي ممرضة أليس كذلك ستيفي؟

أومأت برأسها: أخاف من رؤية الدماء.

غمرها إيوان بذراعه ورافقها إلى المنزل. عندما لاحظ ما في يدها سألها:

ـ أهي هدية لجوني وإليزابيث؟

هزّت رأسها إيجاباً، في الحقيقة ظلّت طوال وجبة طعام الغداء تفكّر في اختيار هدية مميّزة لهذه المناسبة وقد تجوّلت كثيراً في المخازن الكبرى حتى وقع نظرها على هذه الهدية في أحد المخازن الصغيرة وهي علبة تحتوي على كؤوس رائعة من الكريستال النادر.

بدا إيوان رائعاً في بزّة السهرة التي لاقت بقامته النحيلة.. يعمل إيوان بجد في المستشفى مثل روبرت، ولكنّه يملك بعض الوقت ليمارس هوايته في لعبة السكواش والتنيس في مركز المستشفى الرياضي الذي أنشأته السيدة كاميرون من مالها بناءً على اقتراح إيوان.

لم يكن إيوان شاباً جميلاً بالمعنى المتداول ولكن شخصيته القوية جذبت إليه ستيفاني، فهو رجل يتكل عليه ويوثق به، وهذا ينظرها أفضل بكثير من المظهر الخارجي.

أقيمت الحفلة في الطابق الأرضي. كانت ستيفاني تعرف بعض الضيوف أمّا الآخرون فكانوا جميعهم غرباء، ومعظمهم أقرباء لعائلة كاميرون؛ وحتى إيوان يعرفهم بصورة سطحية، فأمّه هي التي أعدّت هذه الحفلة وسجّلت بنفسها أسماء المدعوين، أما صهر العائلة العتيد جوني فبدا متضايقاً لأنّ أقاربه الموجودين في الحفلة نسبيّاً أقلّ بكثير من أقارب آل كاميرون.

ما إن شاهدت إليزابيث ستيفاني حتى تقدّمت منها لتقبّلها وهي تردّد:

ـ أهلاً ستيفاني! لطف منك أن تأتي.

ترتدي إليزابيث ثوباً حريرياً أبيض جميلاً دائري الشكل، وحذاءً

تحت الأضواء وبدت السيدة كاميرون في غاية الأناقة بثوبها الرسمي الخاص بهذه المناسبة.

قال إيوان وهو يعانق ستيفاني بلطف: أهلاً، أهلاً، تبدين رائعة! ستعجب والدتي كثيراً بهذا الثوب الجميل فهي تحب الألوان الوردية كثيراً أو المرجانية كما يدعونها في محلات الألبسة.

كانت ستيفاني قد اختارت هذا الثوب الحريري الأنيق لتلفت انتباه السيدة كاميرون، لأنها كانت تعرف ذوقها في الثياب المحتشمة والأنيقة التي تعطي انطباعاً خاصاً عن شخصية صاحبتها. ولكن ربما لن يُلفت فستانها اهتمام السيدة كاميرون المنهمكة باستقبال ضيوفها.

والتفت إيوان إلى روبرت مرحّباً:

ـ مررنا اليوم في المستشفى بوقت عصيب أليس كذلك؟ كيف حالك؟ هل أنت متعب مثلي؟

ـ أنا في حالة يرثى لها... لقد نصحتني الأخت موريس بالخلود إلى النوم قليلاً ريثما يدخلون إلى غرفة العمليات المريض الآخر، لكن ما كدت أغمض عيني حتى أحست بالأخت موريس تدفعني بقوة لأنهض. إنها امرأة مضحكة، فهي لم تسامحني قطّ لأنني تزوجت غوين. تكره زواج الأطباء من الممرضات.

ـ هل ستتمكّن غوين من المجيء إلى هنا هذه الليلة؟

ـ لا أدري! ستحاول المجيء في الساعة العاشرة إن لم تكن في المستشفى أية حالة طارئة... كن حريصاً ولا تتزوّج أبداً ممرضة!

ارتبكت ستيفاني من دعابات أخيها المحرجة ولكنّ روبرت ابتسم وإيوان ضحك أيضاً وهو ينظر إلى عينيّ ستيفاني وسألها:

ـ أنتِ لا تفكرين أن تصبحي ممرضة أليس كذلك ستيفي؟

أومأت برأسها: أخاف من رؤية الدماء.

غمرها إيوان بذراعه ورافقها إلى المنزل. عندما لاحظ ما في يدها سألها:

ـ أهي هدية لجوني وإليزابيث؟

هزّت رأسها إيجاباً، في الحقيقة ظلّت طوال وجبة طعام الغداء تفكّر في اختيار هدية مميّزة لهذه المناسبة وقد تجوّلت كثيراً في المخازن الكبرى حتى وقع نظرها على هذه الهدية في أحد المخازن الصغيرة وهي علبة تحتوي على كؤوس رائعة من الكريستال النادر.

بدا إيوان رائعاً في بزّة السهرة التي لاقت بقامته النحيلة.. يعمل إيوان بجد في المستشفى مثل روبرت، ولكنّه يملك بعض الوقت ليمارس هوايته في لعبة السكواش والتنيس في مركز المستشفى الرياضي الذي أنشأته السيدة كاميرون من مالها بناءً على اقتراح إيوان.

لم يكن إيوان شاباً جميلاً بالمعنى المتداول ولكن شخصيته القوية جذبت إليه ستيفاني، فهو رجل يتكل عليه ويوثق به، وهذا ينظرها أفضل بكثير من المظهر الخارجي.

أقيمت الحفلة في الطابق الأرضي. كانت ستيفاني تعرف بعض الضيوف أمّا الآخرون فكانوا جميعهم غرباء، ومعظمهم أقرباء لعائلة كاميرون؛ وحتى إيوان يعرفهم بصورة سطحية، فأمّه هي التي أعدّت هذه الحفلة وسجّلت بنفسها أسماء المدعوين، أما صهر العائلة العتيد جوني فبدا متضايقاً لأنّ أقاربه الموجودين في الحفلة نسبيّاً أقلّ بكثير من أقارب آل كاميرون.

ما إن شاهدت إليزابيث ستيفاني حتى تقدّمت منها لتقبّلها وهي تردّد:

ـ أهلاً ستيفاني! لطف منك أن تأتي.

ترتدي إليزابيث ثوباً حريرياً أبيض جميلاً دائري الشكل، وحذاءً

فضياً عالياً لأنّها قصيرة القامة، أمّا شعرها فاحمر كأخيها، فيه بريق مميز، وعيناها خضراوان ساحرتان. في وجهها رقّة وعذوبة ولكنّها كسائر آل كاميرون صاحبة عزيمة وقرار، وهي أصغر من أخيها سناً.

قالت ستيفاني وهي تقدّم لها هديتها المغلّفة: أتمنى لك كل السعادة مع جوني.

فكّت اليزابيث الشريط الذهبي وأعجبتها كثيراً الهدية.

- إنها رائعة! أنت ملاك ستيفاني، هذا ما كنّا نريده... كيف تذكّرت ذلك؟

وضعت اليزابيث طوال الأسابيع الماضية لائحة بالأغراض المنزلية التي تحتاج إليها في منزلها الجديد الذي تبنيه المؤسسة، ولكن ستيفاني لم تكن بحاجة إلى مخيلة خصبة لتعرف ماذا تفضّل اليزابيث الشبيه ذوقها بذوق أمها.

بينما كان روبرت يقدّم هديته الزابيث، أخذ إيوان ستيفاني بيدها وتوجّه معها لتلقي التحية على والدته التي كانت جالسة على كرسيّها في الطرف الآخر من القاعة.

رفعت السيدة كاميرون وجهها لتقبّل ستيفاني قائلة: مساء الخير يا ستيفاني.

كانت السيدة كاميرون ترتدي هذا المساء ثوباً أزرق أكمامه طويلة وياقته عالية وحرصت أن ترشّ عليه عطرها المفضّل من عطر الخزامى.

قالت السيدة كاميرون بنوع من التأنيب وهي تنظر إلى ثوب ستيفاني الحريري الملتصق بجسمها:

- تبدين جريئة جداً هذا المساء يا صغيرتي.

اعترض إيوان مبتسماً:

- أوه! يا أمي بل تبدو ستيفاني رائعة بثوبها المرجاني الجميل.

طالما سمعتك تقولين إنّك تحبّين كثيراً اللون الوردي.

أجابته أمه:

- أجل! أجل بكل تأكيد.

تشبه عيناها عيني إيوان، أمّا شعرها فأصبح فضيّ اللون، وقد عقصته فوق كتفيها. أنفها صغير ودقيق وشفتاها برّاقتان بلون وردي شاحب. يبدو بوضوح أنّها كانت جميلة وخلابة في صباها ولكنّ هذه الأنوثة مخادعة ومخيّبة للأمل، فتحت تلك الابتسامة العذبة تختبىء شخصية فولاذية قاسية. إنها تسير في حياتها وفق مُثل عليا وتجبر كل من هم حولها على السير على منوالها، وهذا ما يجعل حياتها وحياة من معها صعبة جداً ومع ذلك تحترمها ستيفاني وتحبّها

نظرت السيدة كاميرون إلى ابنها وقالت له: إيوان، اسكب كوباً من المرطبات لستيفاني واحرص على عدم الانزواء، فهذه حفلة عائلية ويريد الجميع مقابلتها. عمّتك جنيفر مثلاً سألتني عنها للتو.

- أين هي؟

ألقت السيدة كاميرون نظراتها بسرعة في القاعة المكتظّة بالضيوف حتى وقع نظرها على شخصين جالسين على أحد المقاعد بثرثران.

- أوه! ها هي مع أدريان... ألا يبدو بحالة جيدة؟ لن تصدّق أنه تخطّى السبعين من عمره. أخبرني أنّه يسبح يومياً صباحاً قبل تناول الفطور. لماذا لا تجرب ذلك بنفسك في المركز الرياضي الذي أقنعتني بتشييده في المستشفى؟

- أجل يا أمي، أنا أستعمله يومياً وهذا ما يفعله معظمنا في المستشفى، إنه يشكّل جزءاً من الطب الوقائي الصحي.

- آه! أرجوك يا إيوان لا أريد الليلة محاضرة في الطب الوقائي. اذهب مع ستيفاني وقدّمها إلى جنيفر وإلى عمك أدريان ليتعرفا إليها.

ابتسم إيوان وخاطب ستيفاني:

ـ أريد أولاً أن أقدّم لك هذا الكوب، فأنت بحاجة إليه عندما ستتعرّفين إلى العمّة جنيفر.

نظرت إليه والدته غير موافقة على كلامه.

ـ ليس لطيفاً منك يا إيوان أن تتكلم بهذا الشكل! ولا تحاول أن تصغّر اسم ستيفاني بستيف إذ ستبدو فتى.

ـ لن يظنّها أحد فتى وهي ترتدي هذا الثوب الضيق الجميل.

في تلك اللحظة ترامى إلى مسمعها صوت عميق بارد آت من الوراء. صعقت ستيفاني في مكانها ومال لون بشرتها إلى الاصفرار، أما الرجل الطويل الذي تكلم منذ لحظة فراقبها بنظرات جليدية ماكرة، كأنه يحاول أن يهدّدها من خلال ابتسامته الساخرة. وتساءلت بخوف: ماذا يفعل هنا بحق الله؟

نادته السيدة كاميرون بصوت دافىء ورفعت يدها وهي تبتسم:

ـ جيرار! ما أروع أن أراك ثانية! يسرني حضورك.

ـ هللو! كيف حالك سيدة كاميرون؟ تبدين ساحرة فما زلت كما كنت في الماضي. ماذا تفعلين للمحافظة على شبابك وجمالك الدائمين؟

ضحكت السيدة كاميرون وقالت:

ـ لا داعي لهذا الإطراء يا جيرار، فلم أعد في عمرٍ مناسب لهذا النوع من المجاملات اللبقة.

ـ لا أصدّق ذلك.

حاولت ستيفاني أن تستردّ أنفاسها. عرفت للتوّ أنّ جيرار هو ابن السيدة كاميرون بالمعمودية، لم يذكر أحد اسمه هنا سابقاً، لهذا السبب إذن نزل في الفندق لأنه كان مدعواً إلى الحفلة، هل كان يعلم أنّه

سيجدها هنا؟ لم يتعجب عندما رآها، أما هي فخافت كثيراً عندما وقع بصرها عليه لأول وهلة. تمنت ألا يكتشف شعورها لأنه فاجأها بحضوره.

خاطبت السيدة كاميرون ابنها:

ـ ألا تتذكّر يا إيوان جيرار تينيل؟ كانت والدته أعز صديقة لي في المدرسة وهو ابني في المعمودية. شاهدته مراراً عديدة عندما كنت صغيراً... هل تتذكّر ذلك؟

تقدّم إيوان منه لمصافحته قائلاً لأمه: أجل، بكل تأكيد أتذكّره.

لم يسمع إيوان قطّ ستيفاني تذكر اسم جيرار أمامه ولم يكن يعلم أنها سبق أن التقت هذا الرجل، ولكن عندما نظر إلى جيرار وهو يصافحه لم يشعر بالراحة إليه ولم يحبّه البتة. أما ستيفاني فحاولت في نفسها أن تقلّل من أهمية وجود جيرار في هذه الحفلة. ربما ليس لديه النية ليكشف عن ماضيها، فهو يعرف السيدة كاميرون ويعلم ماذا سيكون أثر تلك القصة القديمة عليها، ولا تظنه بهذه القسوة ليحطّم حظها في السعادة مع إيوان.

ارتدّ الرجل الأشقر نحوها وحدجها بنظراته الوقحة من رأسها إلى أخمص قدميها، ثم التفت إلى السيدة كاميرون قائلاً:

ـ ألن تعرفينا أيتها الوالدة؟

ـ بالتأكيد سهوت عن ذلك، أقدّم لك الآنسة ستيفاني سنيوارت. لقد ذكرت لوالدتك في كتاب الدعوة أنه يحتمل أن يكون هناك حظّ مستقبليّ مشترك بين إيوان وستيفاني.

مدّ جيرار تينيل يده لمصافحة ستيفاني مُدّعياً أنّه لا يعرفها ولم يظهر أنّه يريد أن يخبرهم ما يعرف عنها. نظرت إليه خائفة عندما مدّت يدها لمصافحته فعلى شفتيه ابتسامة تخفي وراءها معاني كثيرة... ربما لم

يقرّر أن يخبرهم الآن ولكن ليس هناك ما يضمن أنها بأمان من هذا الرجل.

* * *

٢ ـ الهر والفأرة

وجدت ستيفاني صعوبة كبيرة في التصرف خلال تلك الساعة... كانت ضائعة، تبتسم للأشخاص الذين يخاطبونها من دون أن تراهم في الحقيقة، ولم تستطع أن تتذكّر كيف تكلمت إليهم وماذا قالت لهم؟ خفق قلبها بقوة وسرعة... لو كان لديها الشجاعة لتركت هذه الحفلة ولابتعدت عن هذا المنزل وعن جيرار تينيل. ولكن كيف تترك الحفلة؟ فإن غادرت تفاجأ إيوان وطرح أسئلة كثيرة بهذا الخصوص قد تحرجها، ومن الأفضل أن تتحاشى كل ذلك. إذا أخبر جيرار تينيل العائلة ما يعرف عنها ستكون بدون شك نهاية علاقتها مع إيوان.

خلال الوقت الذي تجوّلت فيه مع إيوان للتعرّف إلى أفراد عائلته وأقاربه، استطاعت البقاء بعيدة عن جيرار وأبعدت نظرها عنه. لكنها عرفت طوال الوقت مكانه لأنها كانت تسترق السمع إلى نبرة صوته العميقة. قبل خمس سنوات كان صدى صوته يبعث الحيويّة والنشاط في عظامها، أما اليوم فهو يزرع المرض والخوف في قلبها...

فجأة اقترب روبرت منها وهو يهمس في أذنها:

ـ هل من خطب؟ تبدين عصبية.

حاولت أن تضحك ولكنها لا تستطيع أن تخدع أخاها.

ـ لا.. لا تكن سخيفاً، فأنا على ما يرام.

ـ هل تخاصمت مع إيوان؟

www.rewity.com/vb
سنو وايت

ـ لا بالتأكيد، فأنا تعبة فقط.

ـ أنت بحاجة إلى الجلوس ولكن ليس هناك مقاعد فارغة.. كلها محجوزة.

ـ لا بأس، فلن أصاب بدوار.

ـ من ينظر إلى وجهكِ، يرى أنكِ على وشك الانهيار بين لحظة وأخرى.

أمسك يدها واندفع بها نحو الباب وجلس قربها على الدرج.

استعادت ستيفاني أنفاسها وقالت لأخيها:

ـ شكراً أيها الطبيب!

ـ من دواعي سروري أن تشعري بتحسن... نعم الطقس بارد خارجاً لكنك بحاجة إلى بعض الأوكسجين النقي فالجوّ خانق في الداخل... ضعي رأسك على ركبتيك ليجري الدم.

أطاعت ستيفاني، لم يكن هناك داعٍ لتخبر أخاها أنّ شحوب وجهها غير عائد إلى قلّة الأوكسجين في الداخل، بل إلى ظهور جيرار تينيل المفاجيء في الحفلة. ربما نسي روبرت اسمه لكنّه يعرف كل شيء عنه، وهي لا تريد أن يعلم من كان هنا هذا المساء. وإن استطاعت الحفاظ على هدوئها وربما سيذهب جيرار بعيداً ولن يتعرّف أحد هنا إلى ما قد حصل في الماضي، ولكن قد يكون ما ترجوه مجرد حلم، فهل يدفن يا ترى كل شيء إلى الأبد؟

قال لها روبرت بلطف:

ـ امكثي هنا، سأجلب لك زجاجة من الماء.

ألقت رأسها فوق ركبتيها وأغمضت عينيها، فبدت أصداء الحفلة بعيدة كل البعد. إنها بحاجة إلى الانفراد بنفسها وليس إلى الابتسام والتكلّم إلى المدعوّين، لكن لم يكن باستطاعتها أن تبقى هنا طويلاً لأنّ

إيوان سيتعجّب وسيأتي باحثاً عنها.

سمعت الباب يُفتح وانبعث ضجيج الحفلة، فظنّت أنّ إيوان جاء بحثاً عنها. ثم انغلق الباب بهدوء فرفعت رأسها لترى أمامها جيرار تينيل.

هبّت واقفة وحاولت لملمة شجاعتها لمواجهته، يجب ألا يعلم كم يخيفها... بادرها قائلاً:

ـ لقد تعجّبت من اختفائك! ظننت أنكما رحلتما معاً.

ـ شعرت بالحرّ الشديد فخرجت إلى هنا لأتنشّق الهواء البارد.

نظر إليها بشيء من القسوة والوحشية قائلاً لها:

ـ تبدين باردة جداً بالنسبة لي، طالما خيبت أملي فأنت كاذبة حقيرة دنيئة.

الادّعاء بأنّهما غريبان تلاشى واختفى.

ظهرت العداوة في عينيه وعادت ستيفاني بالذاكرة إلى الماضي البعيد وأخذت بشرتها الباردة ترتعش بقوة من نظراته. ليس باستطاعتها أن تتحمّل تحديقه إليها فذلك يعذّبها ويؤلمها.

ـ انظري إليّ عندما أكلّمك!

رفع يده وأمسك ذقنها فصرخت ما إن لامست أظافره بشرتها. دفع رأسها بقسوة إلى الوراء حتى ترى عينيه الرماديتين الباردتين.

ـ أرجوك دعني وشأني! سيأتي أخي بين لحظة وأخرى.

حدّق إليها وقال:

ـ يجب أن تتكلم. إذا لم يكن هنا فأين؟

أحسّت ستيفاني بأنّ عقلها أصبح كتلة فارغة، حاولت أن تهزّ رأسها فسمعت وقع قدمي روبرت القادم من المطبخ وسمعها جيرار أيضاً فنزع يديه عن وجهها ووضعهما في جيبيه وحاول أن يتكلّم بشكل

هادىء ومهذّب وهو يحاول أن يبتسم:

ـ تعالي إلى الفندق!

زاد شحوب وجهها وهي تقول له:

ـ متى؟

ـ غداً صباحاً... سنتناول طعام الفطور معاً.

جعلتها ابتسامته تعضّ بغيظ شفتها السفلى:

ـ لا أقدر.

اختفت ابتسامته وبدا وجهه قاسياً وعدائياً.

ـ من الأفضل أن تكوني هناك في تمام الساعة التاسعة صباحاً.

قبل أن تستطيع الإجابة اقترب روبرت منهما. وكم تعجّب عندما شاهد جيرار ولكنه ابتسم له:

ـ هللو! هل تركت الحفلة أيضاً لتتنشّق بعض الهواء؟

أعطى روبرت شقيقته زجاجة الماء التي وضع فيها مكعّبات من الثلج.

ـ أرجو أن تشعري ببعض التحسّن.

حاولت ستيفاني أن تخفي ارتباكها وهي تقول لأخيها:

ـ أجل، أشكرك.

لكن روبرت حدّق إليها بنظرات الخبير ليستكشف ماذا تخبّىء عنه.

ـ من الأفضل أن أصحبك إلى المنزل لأنك لست على ما يرام.

انفتح الباب خلفهما وخرج إيوان الذي نظر إليهما متعجّباً.

ـ أخيراً وجدتكما. ستيفي، هل من خطب؟ ألستِ على ما يرام؟

ـ بل أنا على ما يرام.

أخذ جيرار الزجاجة من يدها ونظر إليها نظرة سريعة. بدا هادئاً

ودوداً... إنه بالحقيقة ممثل بارع كاذب. لقد وُلد هكذا. لم يلاحظ أحد أنّ هناك شيئاً بينهما بل ظنّ الجميع أنه مجرد تعارف سريع.

قال إيوان لروبرت: من الأفضل ألا نذهب إلى النادي.

ثم وقفا على انفراد يتحدثان بأمور مهنية. شعرت ستيفاني فجأة بأنها ستضحك بشكل هستيري إذ لم تستطع أن تضبط عواطفها. ربما سببت لها الأنوار ألماً في رأسها، نظر إليها إيوان ورجع إليها ليضع يده على كتفها وهو يقول لها:

ـ هل تشعرين بأي صداع ستيفي؟

ـ لا! أنا على ما يرام... سأذهب إلى النادي لأنني أرفض أن أقضي على الحفلة. انتظرتها طوال الأسبوع.

إنهم لا يذهبون إلى الخارج للتسلية كمجموعة إلاّ نادراً، وليس لدى إيوان الوقت الكافي ليذهب معها إلى الرقص... كانا يلتقيان لبعض الوقت تارة في النهار، وطوراً في المساء حيث يتناولان الطعام في أحد المطاعم أو يحضران التلفزيون في شقتها أو يتمشيان أحياناً على شاطىء البحر حتى يحين موعد عمله فيعود بسرعة إلى المستشفى.

تمتم جيرار تينيل ببرودة: إنه عمل غير حكيم.

نظر إليه الطبيبان بتهكّم، وقال له إيوان وهو يتصنّع الابتسامة:

ـ لقد سألت والدتي عنك أيضاً، واستغربت اختفاءك.

دلّت طريقته في الكلام إلى أنّ جيرار وآراءه غير مرغوب فيهم.

حرّك جيرار شفتيه بازدراء وابتعد.

سأله روبرت: «ما هو عمله؟»

أجابه إيوان: «إنه محام».

هزّ روبرت كتفيه وتبادل الرجلان النظرات والآراء. من يعتقد نفسه؟ محام بيدي رأيه في قضية طبية كلياً؟ ما أكثر ما يعرض الدخلاء

آراءهم السخيفة في مواضيع لا يعرفون عنها شيئاً. تعرف ستيفاني جيداً نظراتهما بهذا الخصوص وقد سمعتهما يتكلمان مطوّلاً عن أولئك الهواة الذين يتعاطون أشياء هي من اختصاص المحترفين لا سيما في حقل الطب.. بعد لحظات من النقاش رجعا إليها فابتسمت لهما لأن جيرار ابتعد عنها فشعرت ببعض التحسّن وأحسّت بالدم يسير في عروقها من جديد. قال لها إيوان:

ـ فلنسر قليلاً في الهواء الطلق فهذا لن يتعبك، أنت بحاجة إلى الوصفة الطبية التالية: حاولي أن تتمشي يومياً بعض الوقت برفقة طبيبك الخاص.

ضحكت ستيفاني وتركته يقودها إلى الباب الأمامي.

ـ ستتعجّب أمّك وتتساءل أين نحن؟

قال روبرت: لا بأس. فسأغطيكما وسأقول لها إن ستيفاني مصابة بدوار، وإنكما تتمشيان في الهواء الطلق.

كان الليل بارداً، والقمر ينشر أضواءه الفضية على الأشجار والمنازل مضفياً عليها جواً سحرياً رائعاً. بدا كلّ شيء هادئاً وساكناً، حتى يكاد المرء يسمع هدير الأمواج من بعيد.

وضع إيوان يده حول خصرها فاتكأت على كتفه، ومشيا بهدوء في الممرات وبين الأشجار.

ارتدّ إيوان ينظر إلى منزله بعطف وهو يقول: «هذا المنزل القديم المجنون، أحبّه! إنه منزل وحشي. ليس كالمنازل المعلّبة التي يبنونها اليوم، فهو صامد جبّار. أما منازل اليوم التي زرعوها في أنحاء واي فيل فقد تنهار بعد سنين قليلة. هذه الطريقة السريعة في العمل لا تدعو للاعتزاز والفخر وهذا من بين الأسباب التي دعتني إلى عدم العمل في المؤسسة».

إيوان رجل طيّب، صاحب مبادئ، وهو إلى ذلك رزين ومستقيم، إنه رجل تحترمه وتعجب به لأنه لا يحبّ المادة بل يفتّش عن المبادئ السامية.

نظر إليها وهو يبتسم:

ـ أما زلت تشعرين بالدوّار؟

ـ لا. كنت أفكّر أنك ستبقى وأمك بعد زواج اليزابيث وحدكما في هذا البيت العملاق.

كانت عيناه تتألّقان بالحيوية والمرح:

ـ لقد بنى جدي هذا المنزل الكبير ليضم بين جدرانه عائلة كبيرة وأنا أوافقه الرأي.

لامست يده وجنتيها بدلال، فشعرت فجأة أنه على وشك أن يقترح عليها الزواج.

لم يكن باستطاعتها السماح له بذلك خاصة الآن لأنها ضائعة.. تابعت سيرها فيما كان يتكلّم بهدوء ويده على كتفها.

ـ منزل اليزابيث الجديد كسائر البيوت الحديثة التجارية لكنه سيكون منزلاً جميلاً. وجوني مهندس ممتاز وقد أعجبني تصميمه للمنزل.

توقعت ستيفاني أن يعرض إيوان عليها الزواج منذ بضعة أسابيع وكان جميع من حولهما مقتنعين أن هذه المسألة مسألة محسومة، لذا راحوا يضايقونها بنكاتهم الساخرة ويتهمونها بغرابة الأطوار. لكنّهما يفضلان التروي. إيوان لا يحبّ الاندفاع والتسرّع في أي شيء، فهو يفضّل التريّث والتفكير قبل اتخاذ القرار المناسب، وهي شخصياً توافقه الرأي، فالزواج مسألة دقيقة. في الأسابيع الماضية انتظرت منه مفاتحتها بالموضوع وها هي الآن تحاول أن تمنعه أو بالأحرى تحبّذ

وصول جيرار تينيل المفاجىء إلى المسرح بذل كل شيء وحطم سعادتها المنتظرة. لقد تعذّبت طوال سنين للتخلّص من رواسب الماضي المحزنة وها هو الآن بقدومه المفاجىء يُعيد من جديد كلّ الذكريات المؤلمة.

إن علم إيوان بما حصل منذ خمس سنوات فكيف ستكون نظرته إليها؟ سيرسم له جيرار صورة قاتمة عن كل الذي حدث. حتى ولو استمع إيوان إلى وجهة نظرها، هل سيظلّ شعوره هو نفسه تجاهها؟ ما الذي قاله منذ لحظات عن منزله؟ إنه فخور به لأنه منزل أصيل متين يحمل اسم عائلته، فآل كاميرون يعتبرون أهم عائلة في هذه المدينة الصغيرة، ليس لأنهم أغنياء فحسب بل لأهمية دورهم الاجتماعي في هذه المدينة ويعود ذلك إلى زمن طويل. لقد بنوا الجناح الحديث في المستشفى وهم يساهمون أيضاً في بناء الكنيسة الجديدة، فالسيدة كاميرون تدعم العدالة والسلام في هذه المدينة.

يُعتبر إيوان فخراً للمستشفى إذ تعتبره المدينة طبيبها الخاص لأنه ولد وترعرع فيها وهو جرّاح شهير يقصده المرضى من أماكن بعيدة، إنّه جراح قلب مشهور.

لم تمسّ الفضائح قطّ اسمهم. كيف سيقبل أن يكون أول من يجلب الفضيحة والعار إلى عائلة كاميرون؟ كان عليها منذ البداية أن تتوقع حدوث ذلك ذات يوم. لقد اعتقدت أن إخفاء نفسها في هذه المدينة الصغيرة سيطمر الماضي أيضاً، لكن عاجلاً أم آجلاً سينجلي كل خفيّ.

لو أخبرت إيوان الحقيقة منذ البداية لتمكنا من تخطي هذه المشكلة. لكنها لم تجرؤ على المخاطرة بذلك، فقد خشيت أن يرفض رؤيتها بعد ذلك حتى ولو صدّق قصّتها ومبرّراتها.

لم يكن عليها فقط إقناع إيوان بل كان عليها أيضاً أن تُقنع أمّه. ستصاب السيدة كاميرون بلا شك بصدمة قوية حالما تسمع الفضيحة الملتصقة باسم ستيفاني وسيكون ذلك حال أقرباء العائلة وأصدقائها جميعاً.

توقّف إيوان قبل وصولهما إلى المدخل، وداعب وجهها وهو يبتسم:

- لا تكوني خجولة يا حبيبتي! فكّري في الموضوع.. أعتقد أننا سنشكّل فريقاً جيداً.

ابتسمت له فتمتم: هذا أفضل، وعانقها ثم دخلا إلى المنزل حيث مرّا مباشرة بجيرار تينيل الذي كان في القاعة مرتدياً معطفاً من الكشمير الأسود.

سأله إيوان متعجباً: أتغادر الآن؟

نظر إليه جيرار بتهكم وقال:

- أنا مضطرّ إلى النهوض غداً باكراً فلدي موعد هام.

أحسّت ستيفاني بوجنتيها تحترقان واختفت بسمتها... إنه يذكّرها ويحذّرها في الوقت نفسه بالمحافظة على الموعد.

- إذن لم يكن قدومك إلى هنا رحلة ترفيهية فقط؟ فلديك عمل في المدينة، عمل قانوني. أعتقد أنك لا تعلم أنه ليس هناك أي تطوّر قانوني مثير في هذه المدينة.

- موعدي شخصي أكثر منه قانوني.

ضحك إيوان: «عفواً على تطفلي إذن... يجب ألا تدع الآنسة تنتظرك».

- بل آمل ألا تجعلني أنتظر.

وأدار جيرار نظره نحو ستيفاني فشاهد تعابير وجهها قبل أن

يخرج.

لاحظ روبرت وإيوان بعد خروجه توعّكها وأصرّا عليها بالعودة إلى المنزل لتنام.

وذهبا معاً إلى النادي من دونها لمقابلة غوين وذهب جميع الشباب الموجودين في الحفلة ليرقصوا.

عادت ستيفاني إلى المنزل فقد كانت بحاجة للانفراد بنفسها تلك الليلة.

ذهبت إلى فراشها وتمدّدت في الظلام وراحت أفكارها تستعيد ذكريات الماضي، وحاولت أن تتكهن ما قد يقوله لها جيرار تينيل غداً صباحاً.

إنها مجبرة على الذهاب فلا مجال للهرب، وهو يعلم ذلك. لقد استغلّ عبر نظراته القاسية موقفها الضعيف، وكان كمن يحمل سوطاً في يده ليضربها بلا رحمة إذا لم تسر على الخط الذي يريد.

لكن لماذا يريد أن يتكلّم إليها؟ ماذا لديه ليقوله؟

كانت تنظر من وقت لآخر من النافذة إلى أشعة القمر الفضية الحزينة. سيعود روبرت وغوين في وقت قريب إلى المنزل، إنها الساعة الواحدة من بعد منتصف الليل. إنهما لا يتأخران أبداً خارج المنزل ليلاً، فحياتهما مكرّسة لخدمة المرضى وكذلك هي حياة إيوان.

تصورت ستيفاني أنها ستعيش في النعيم إن تزوجت إيوان ولكنّ خلفيّة حياتها تجعل ذلك مستحيلاً. لماذا لم ترَ ذلك من قبل؟ لماذا لم يقل روبرت أي شيء بهذا الخصوص؟ وربما أراد أن يتحاشى الحديث عما حدث منذ خمس سنوات لأن من شأن ذلك التسبب بفضيحة ستمنعها من متابعة حياتها في هذه المدينة.

أغمضت عينيها وحاولت أن تغفو. كان عليها أن تستيقظ باكراً

لتذهب إلى الفندق. يجب أن تحاول الدخول إلى غرفة جيرار بدون أن يراها أحد. سوف تخرج غداً من الباب الخاص بها في الوقت الذي يكون فيه أخوها وزوجته نائمين، لكنها الآن تتمنى لو تستطيع أن تغفو بعض الوقت فستكون منهكة كثيراً غداً.

ربما يريد جيرار تينيل أن يعرف إذا كانت مغرمة بإيوان وإن اقتنع بذلك فقد يمتنع عن فضح ماضيها. إنها تتعلّق بخيوط الأمل، فهو قادر على أن يؤذيها. حاولت عدم التفكير فيه فعليها أن تنام، ولكن كيف لها ذلك وهي على هذه الحالة من القلق؟

استيقظت في تمام الساعة السادسة والنصف من صباح اليوم التالي على رنين جرس المنبّه. شعرت بثقل في رأسها. في الأمس فكّرت أن تذهب باكراً إلى الفندق من دون أن تلفت الأنظار وقد وضعت خطة لذلك:

غسلت وجهها وسرّحت شعرها وارتدت ثوباً مرقطاً بالألوان والطلاء، ستدّعي أنها ارتدته في الحفلة من باب الضحك والتسلية وهي تفضّل أن تغيّر ثيابها في الفندق قبل العودة إلى المنزل، قد تغطّي هذه الحيلة حضورها المبكر إلى الفندق.

خرجت من المنزل بهدوء وانطلقت بسيارتها حتى وصلت إلى مكان منعزل أمام الشاطىء، فأوقفتها هناك وانطلقت تعدو إلى الفندق، شاهدها الموظّف الليلي لدى وصولها إلى غرفة الاستقبال فبادرها التحية:

ـ هللو ستيفي كيف حالك؟ أما زلت مستيقظة حتى الآن؟ ما هذا الثوب التنكري الذي ترتدينه؟ متأكد أنك كنت مدعوة إلى حفلة ساهرة الليلة الفائتة!

ـ كنت فعلاً في حفلة ساهرة ولكنني شعرت بالصداع، ورأيت أن

www.rewity.com/vb

ألم رأسي قد يخف إن مشيت قليلاً في الهواء الطلق.

اتكأت على المكتب وسحبت نفساً عميقاً.

ـ أتمانع إن غسلت وجهي وبدلت ثيابي قبل أن أتابع المسير إلى المنزل؟ سأستعمل إحدى غرف الحمّام الموجودة في الطابق العلوي وسأحرص على عدم إزعاج الزبائن.

كانت قد جلبت معها كيساً صغيراً وضعت فيه بعض الثياب.

ـ لا بأس! اذهبي ورتّبي أمورك.

ضحك الموظف وهو يراقبها تمشي ببطء نحو المصعد:

ـ يا عزيزتي المسكينة تبدين مرهقة ليس بمقدورك أن تحرّكي عضلاتك، هل تريدين أحداً يدلك لك ظهرك؟

تظاهرت ستيفاني بالابتسام عندما حاولت الدخول إلى المصعد. كانت وحيدة، تظهر على محياها علائم التعب والقلق. ما إن غيّرت ثيابها حتى عادت إلى مكتب الاستقبال وهناك شرعت تتحدث مع الموظف في محاولة منها لاستكشاف الغرفة التي ينزل فيها جيرار تينيل. لم يبق لديها الآن سوى الصعود إلى غرفته من دون أن يراها أحد. دخلت إلى المصعد وصعدت إلى الطابق حيث غرفته، ومشت بسرعة نحو الباب وطرقت عليه برقة. وانتظرت أن يفتح الباب وهي خائفة من أن يراها أحدٌ. كانت عصبية كثيراً لذا ما إن فتح الباب حتى دخلت مسرعة إلى الغرفة من دون أن تنظر إلى جيرار إلاّ بعدما أقفل الباب ونظر إليها نظرة فولاذية.

كان لا يرتدي غير «شورت» أبيض والظاهر أنه خرج للتو من غرفة الحمام فشعره الأشقر رطب. راحت تتأمله بعصبية وقلق.

ـ أرجوك، قل لي ماذا تريد بسرعة! عليّ العودة فوراً.

ـ ماذا أخبرت عائلتك؟ هل قلت لهم إنك خارجة للتسـ

والضحك؟ إنك ماهرة في فنّ الكذب.

صعد الدم إلى وجنتيها وأجابت:

ـ لم أخبرهم شيئاً لأنني أقيم في شقة منفردة في المنزل، ولست بحاجة إلى إخبارهم أين أذهب، فهم لا يزالون نياماً.

ـ لقد علمت ليلة أمس أنك تعيشين مع أخيك وزوجته.

ـ شقتي موجودة فوق المرآب.

هزّ رأسه: وأين أهلك الآن؟

ـ لقد مات والدي منذ سنة، أما والدتي فما تزال في أوستراليا لأنها تحبّ أن تبقى هناك، وشقيقتي وعائلتها يسكنون قريباً من هنا.

قطعت حديثها وقالت له:

ـ هلا تكلّمت الآن عن مرادك! أريد أن أعرف ماذا تريد.

أدار وجهه نحو الباب، وقال لها:

ـ أعتقد أن موظف الغرف قد جلب طعام الفطور. من الأفضل أن تدخلي إلى غرفة الحمام إلاّ إن كنت لا تهتمين إذا شاهدك الخادم هنا.

كرهته وكرهت تهكمه في الكلام. رأت من عينيه الرماديتين أنه يعلم مدى خوفها واضطرابها.

دخلت بسرعة إلى غرفة الحمام قبل أن يصل الخادم ورأت أنّ باستطاعتها في هذا الوقت أن تسرّح شعرها وترتّب هندامها وأن ترتدي القميص الرمادي الذي جلبته معها، ووضعت بعض أحمر الشفاه على شفتيها.

سمعت جيرار يقول لها:

ـ هل ستظلين في الداخل طوال النهار؟

فتحت ستيفاني الباب بعنف وخرجت إلى الغرفة، فراح جيرار يتأملها بنظراته القاسية من رأسها إلى أخمص قدميها. كانت طاولة

الطعام قريبة من النافذة المفتوحة وكانت الشمس تتسلل من النافذة
ناشرة أشعتها الذهبية ووصل إلى سمعها تلاطم الأمواج من البعيد.
ـ طلبت طعام الفطور لشخصين، طلبت لك فطوراً لذيذاً: عصير
البرتقال، وقطعة كرواسان وقهوة. أرجو أن يروق لك ذلك.
ـ شكراً! لست جائعة.
ـ أنت تمزحين، اجلسي، متأكد أنك جائعة.
ـ لا، شكراً.
وقف جيرار خلفها وأمسك كتفيها بيديه وأجبرها أن تجلس على
الكرسي.
قبل أن تحاول الوقوف، أمسك زجاجة البرتقال ووضعها أمامها
ثم تناول إناء القهوة الفضي وسكب لها بعض القهوة في فنجانها.
ـ أتذكّر أنّك تفضلينها سوداء من دون حليب وسكّر فأنا لا أنس
أبداً.
نظرت إليه، فرأته يبتسم بسخرية:
ـ إنّ ذاكرتي قوية جداً، فأنا لا أنسى أبداً التفاصيل الدقيقة لأ
جزء حيويّ من تدريبي المهني.
لم تستطع مناقشته أو التلاعب به، ولو قامت بذلك لتلاعب
على طريقته ولازدادت فرص سيطرته لأنها تحت رحمته. فهو لا ين
أبداً ولا يسامح أبداً. لم تتعرّف إليه لمدة طويلة ولكنها عرفت الك
عنه، فجيرار تينيل رجل قوي قاس.
تناولت زجاجة عصير البرتقال بيدها وأخذت تشربها رويداً رو
جلس جيرار على الكرسي وراح يحتسي عصير البرتقال وهو يتأ
بدقة.
ـ لقد تغيّرتِ، بالطبع خمس سنوات مدة طويلة، كنت في الـ

عشرة من عمرك، أليس كذلك؟ تساءلت كثيراً عما حصل لك وعرفتُ
أنك تركت أوستراليا، ولكن لم يكن لدي أي علم أنك موجودة في واي
فيل. ولولا استلام والدتي رسالة من مارغو كاميرون لما علمت أبداً أين
أنتِ.
كان جيرار قد ارتشف بعض عصير البرتقال، وأخذ يتناول طعام
الفطور. أبعدت ستيفاني زجاجة العصير من أمامها وراحت تأكل
الكرواسان وهي تقطعها قطعاً صغيرة وأناملها ترتجف من العصبية.
ـ كلي شيئاً، أنت بحاجة إلى الغذاء.
ـ لا، لست بحاجة إلى ذلك، أرجوك سيد تينيل..
ردّد بعدها بتهكم: سيد تينيل!! كنتِ معتادة على مناداتي: جيرار.
تورّد وجهها ونظرت إلى الأسفل من جديد وسمعته يضحك.
تعجّبت من برودة أعصابه فيما هي جالسة على جمراتٍ من القلق.
ـ ألا تتذكرين ذلك؟
لم تحاول الإجابة إذ لم يكن هنا داع، فهو يعلم أنها لم تنس
علاقتهما الوجيزة قبل أن يبدأ ذلك الكابوس المؤلم.
لقد مضى على ذلك خمس سنوات. كان يقوم بعملٍ مهني يحاول
أن يجمع الأدلة من الشهود في إحدى القضايا وكان يومذاك محامياً
ناجحاً. شاهدت اسمه صدفة في إحدى الجرائد وعلمت أنه عائد إلى
انكلترا لكنّه آنذاك أخبرها أنه سيمكث في أوستراليا لمدة سنة ليدرس
القانون الأوسترالي. فيما بعد علمت أنه عاد إلى انكلترا لأنّه كان محامياً
طموحاً يأمل أن يعمل في أحد المكاتب القانونية الشهيرة في لندن.
شعرت أنها في مأمن هنا في واي فيل وتأملت ألا يكون لدى جيرار تينيل
علاقات واتصالات مع هذه المدينة الصغيرة، ولكنها كانت على خطأ
كما يبدو.

انتهى جيرار من تناول فطوره وراح يرشف فنجاناً آخر من القهوة وهو يراقبها بعينيه الثاقبتين.

أما ستيفاني فكانت جالسة على كرسيها تستعد لهجومه ولم تتناول أي شيء. شربت قليلاً من عصير البرتقال أما قهوتها فبردت.

ابتسم جيرار وقال:

ـ هل يعلم إيوان أي شيء بخصوصنا؟

لم تجبه لأنها تعلم أن كل كلمة تقولها سترتدّ عليها.

ـ إذن عندما أخبره سيرفض رؤيتك بعد ذلك.

ـ إذن أنت عازم على إخباره؟ أستغرب تريثك... لماذا لم تخبر

ليلة أمس؟ لكنك لو أخبرته لما استطعت أن تلعب بي لعبة الهرّ والفأر

أليس كذلك؟ ولما استطعت أيضاً أن تستمتع بالجلوس والنظر إلي

والسخرية مني والتلاعب بأعصابي.

كان ينظر إليها بأعصاب باردة وهو يعضّ من وقت إلى آخر على

شفتيه. لم يسبق أن كلمته بهذه اللهجة سابقاً، فقبل خمس سنوا

كانت خجولة كثيراً وكانت متعلّقة به أيّ تعلق. في كل مرة كانت تنظ

إلى عينيه كانت تشعر بالدوار. اعتقدت في الماضي أنها مغرمة به

ولكنّها آنذاك كانت صغيرة جداً لتعلم ما هو الحبّ، لذا لم تدرك أ

جيرار تينيل كان فقط يمضي الوقت معها ويستمتع بمغازلتها.

نظر إليها وقال بمكر:

ـ لكنك جئت إلى هنا.

ـ لم آت إلى هنا لأدافع عن نفسي لأنني لا أقدر أن أمنعك من إخ

إيوان وأمه بماضيّ. ربما أنت على حق، سيكون ذلك نهاية كلّ

بيننا. لن يرضى إيوان الزواج بفتاة اتّهمت بالاشتراك في محاولة اغت

مثلاً. كل ذلك لا يهمني بمقدار ما يهمني أثر ذلك على مستقبل أ

روبرت، فهو طبيب في المستشفى وسيقضي ذلك على حياته وعلى مستقبله المهني.

هبّت ستيفاني عن الكرسي ويداها ترتجفان وقالت لجيرار:

ـ لا يمكنك أن تفعل ذلك به، فلا شأن له في كل ما حدث بيننا. سأذهب بعيداً... لن أتزوج إيوان ولن أراه أبداً، ولكن أرجوك عدني ألا تخبر آل كاميرون أو أي شخص آخر في واي فيل بأي شيء.

* * *

٣ ـ رصاصة في القلب

كان جيرار تينيل يتأمل ستيفاني بإمعان وهي تتكلم، يدقّ على الطاولة من وقت إلى آخر بطرف أصابعه. راحت تنتظر بفارغ الصبر جوابه. لا يمكنه أن يرفض بالتأكيد، ولكن إذا أراد أن يجابهها ويفضح هذه القصة فسيقضي على مستقبل روبرت وغوين. ربّما يكرهها ولكن ليس له أي مأخذ على أخيها.

ـ تقولين إنك لن تتزوجي إيوان كاميرون وإنك ستتركين المدينة ولن ترجعي إليها أبداً. ولكن كيف أصدق أنك ستحافظين على وعدك؟ كلانا يعلم أنك كاذبة كبيرة. من يمنعك من العودة إلى هنا بعد بضعة أسابيع، أي بعدما أبتعد عن طريقك، ومن ثمّ الزواج بإيوان؟

ـ لن أفعل ذلك أبداً.

ـ من يضمن لي ذلك؟ إنه شاب ثري. أليس كذلك؟ سأكون سخيفاً إذا صدّقت كلامك.

ـ لا، أنت مخطىء. أنا لا أسعى وراء المال، والواقع أنني أحب إيوان لشخصه لا لماله.

ضحك بازدراء:

ـ هل تنتظرين مني أن أصدّق ذلك؟ طالما سعيت وراء المال. لماذا كنت تغوين يورغس إذن وعمره ضعف عمرك؟ لأنه كان ثرياً. ألم يكن ذلك؟ كان صاحب مركز اجتماعي، وهو إلى ذلك يملك منزلاً فخم

ويختاً أيضاً. لماذا سعيت وراءه مع أنه في الأربعين فيما أنت في الثامنة عشرة من عمرك؟ أما كنتِ تعلمين أيضاً أنه متزوج؟

كانت ستيفاني واقفة محنية الرأس وعنقها إلى الأسفل وشعرها الأسود يتدلّى على كتفيها. أما الرجل الجالس على الكرسي فكان يتأملها وتعابير الغضب ظاهرة على ملامح وجهه. لم يكن متمالكاً أعصابه كما أراد أن تعتقد بل كان متأثراً حانقاً.

ـ لا أقدر أن أناقشك في هذا الموضوع لأنك لن تصدّقني، كما لم يرد أحد أن يصدّقني آنذاك ولكني بالحقيقة لم أفعل ما يشجع «ليو يورغس»... أنا آسفة جداً عليه، هذا كلّ شيء، لم تكن تلك غلطتي لو...

ـ يمكنك أن توفري كلامك لأنني لا أريد أن أسمع أي دفاع عن نفسك. تريدين مني بكل بساطة أن أصدّق أنك بريئة. في مطلق الأحوال، أكنت بريئة أم مذنبة، أنا أكيد من شيء واحد هو أن السيدة كاميرون لن ترضى أبداً أن تتزوجي بابنها، ولكنني متفق معك على عدم تحطيم حياة أخيك الذي يضحي ويجاهد كثيراً منذ خمس سنوات. لقد كان طالباً في كلية الطب، أليس كذلك؟ أذكر أنك قلت لي إنه في السنة الأخيرة من دراسة الطب في إحدى مستشفيات لندن التعليمية. لقد فكّرت آنذاك فيه، وأخذت بعين الاعتبار قضية امتحانه النهائي ولم أشأ أن يعلم أنّ شقيقته متّهمة بفضيحة عامة، ولا أريد الآن أن أسبّب له مشاكل، ولكن مارغو كاميرون هي أمي في المعمودية، ولا أقدر أن ألزم الصمت وأتركك تتزوجين ابنها لأنها لن تغفر لي ذلك أبداً.

تكلمت بحسرة ومرارة:

ـ قلت لك إنني سأذهب بعيداً بعيداً. ماذا تريد أكثر من ذلك؟ لماذا أتيت إلى هنا؟ كنت سعيدة من جديد، وظننتُ أنني نسيتُ الماضي،

وتركتُ كل شيء وراءي، وها أنت تعود الآن من جديد...

وضعت ستيفاني يديها على وجهها لكي تغطي الدموع المترقرقة في عينيها الزرقاوين. لا تريد أن تبكي أمامه وترفض أن تراه مسروراً وهو يشاهدها تبكي. قبل خمس سنوات، جلست في قفص الاتهام كشاهدة فيما كان جيرار تينيل يراقبها قرب قوس المحكمة بعينيه الوحشيتين. صُعقت يومذاك عندما سمعت أن المكتب الذي يعمل فيه قد كُلّف بقضية «فيولا»، فعلمتْ أنّ ذلك يعني أنّ جيرار سيكون في المحكمة. لم تره أشهراً طويلة قبل أن تُحدد المحكمة الموعد النهائي للاستماع إلى الشهود. كان ذلك مرهقاً للأعصاب بالنسبة لها، إنها تواجه تهمة الاشتراك بالجريمة وتواجه جيرار بالوقت نفسه.

لقد وقعت في أخطاء كثيرة وتلعثمت في الكلام، وحاولت يائسة أن تتلافى نظراته... كانت الحقيقة تُثبت الإدانة. لم تتوقع أن ينظر إليها جيرار بغيظ واحتقار لذا كان عليها أن تجاهد للحفاظ على رباطة جأشها في الساعات الطويلة التي قضتها في قفص الاتهام.

خصّصت الجلسة الأولى للاتهام ولكن بعد الاستئناف وإعادة النظر بالقضية مرتين من قبل المدعي العام الذي حاول أن يضع النقاط على الحروف في صحة قصتها وشهادتها التي حاول محامو الاتهام أن يدحضوها. كان جيرار طوال الجلسة يراقبها بنظرة عداء وهذا ما زاده ارتباكاً وألماً.

اقترب جيرار منها كثيراً ووقف خلفها مباشرة ووشوش في أذنيها:

ـ لن تؤثر دموعك فيّ ستيفاني.

ـ أنا لا أبكي.

مدّ جيرار يده إلى وجنتيها المبللتين ليتأكد أنها تبكي وردّد بتهكم وتأثر: إنها دموع حقيقية.

ـ هل أنت مسرور من ذلك؟ هل تريد مني أن أغرق بالبكاء؟ أنت تكرهني فقد شتمتني وهدّدتني وكلمتني وكأنني فتاة حقيرة. ماذا تريد بعد ذلك؟ ماذا تريد أن تفعل بي؟

أخذ يضحك عالياً: لا تمتحنيني! لقد ظننتُ أنك فتاة بريئة صغيرة، فتاة الثمانية عشر ربيعاً، فتاة لم يعانقها أحد. عيناها زرقاوان كعيون الأطفال وبشرتها طرية كالدرّاق، يا إلهي! كنتُ اعتقدك جميلة وعذبة وما كانت أتجاسر على لمسك بأناملي مع أنني كدت أفقد رأسي واتراني لأنني أردتك بكل جوارحي، ومع ذلك لم أخاطر يوماً بإخافتك... عاملتك بحنانٍ وعناية ولكنك كنتِ طوال هذا الوقت تعاشرين ذلك الرجل الأقرع العجوز...

كاد صوته يختنق وهو يكمل:

ـ لقد جعلتني رجلاً مجنوناً.

كانت ستيفاني منهارة كلياً ومصدومة، وضعت يدها عليه وشفتاها ترتجفان:

ـ جيرار، إذا كنت تحبّني فلا تكرر ذلك! لا تؤذ أخي بسببي، وأنا مستعدة للقيام بكل ما تريد.

أمسك يدها ورفعها وراح يتأملها وكأنه لم يرها قط طوال حياته... وكأنه أيضاً يريد أن يقرأ مستقبلها من خطوط يدها.

سألها بصوت خافت: هل هذا عرض؟

أرادت أن تسحب يدها ولكنه لم يتركها إذ كان يمسك أناملها بقوة وعيناه تحدّقان إلى راحة يدها.

تمتم بهدوء:

ـ يجب أن أحضر نفسي لأعقد صفقة معك.

صعقها هذا الكلام.

www.rewity.com

ـ عمَّ تتكلم؟

ـ تعلمين عمّا أتكلم.

أحنى رأسه بهدوء، فأحنت ستيفاني بشعور مخيف ممزوج بالإثارة والرعب. جفّ حلقها وتجلّدت بشرتها ثمَّ اشتعلت لأن شفتي جيرار لامستا راحة يدها. إنها أغرب قبلةٍ عرفتها طوال حياتها ذكّرتها فجأة بحادثة وقعت معها منذ خمس سنوات عندما كانت ترقص مع جيرار في حفلة أقيمت في منزل آل يورغيس، فقادها إلى الحديقة لتشاهد منظر القمر الرائع في سماء أوستراليا. كان الجوّ رائعاً وحاراً جداً وصوت الموسيقى يزيد من روعة المشهد، فجلست تحت إحدى الأشجار تسترق السمع إلى ما حولها، أما جيرار فكان ينظر إلى النجوم في قلب السماء ويسمّيها لها. كان قلبها يخفق وهي تراقب قامته الطويلة الرشيقة وشعره الأشقر الحريري، فنظر إليها وابتسم وقبّل يدها كما فعل اليوم بحرارة وشغف ورقة.

رفعت ستيفاني رأسها وعادت إلى حاضرها، ولكنها شعرت في صميم قلبها بأنها ليست كالأولى، فهذه قبلة كاذبة.

قال لها جيرار:

ـ سأربط لساني، ستيفاني، بشرط واحد.

لم تتحرّك ولم تسأله ماذا يعني بقوله، فعيناه كانت تظهران بوضوح ماذا يريد. عرفت مسبقاً ماذا سيقول فارتجف جسمها وتملّكها الكره.

ابتسم وقال لها: ما زلت أريدك ستيفاني.

لم تشعر ستيفاني قطّ أنه سيكون لتلك الابتسامة ذلك التأثير القوي فيها. كان مفعولها أمضى من طعنة خنجر.

أضاف وهو ينظر بتهكّم إلى عينيها الزرقاوين:

ـ وضعتك على قاعدة تمثال عالية وأردت أن أنثر أوراق الورد

تحت قدميك. عشت في أحلام رومنسية وأنا أفكّر فيك بجنون. كنت في الثانية والثلاثين من عمري، وكان باستطاعتي أن أنال أية امرأة تعجبني ولكن أردت أن أضع حداً لكل ذلك. أردت أن أستقر وأن أتزوج، فقد سئمت من معاشرة النساء اللواتي يرتمين في سريري من أول موعد، وقرّرت ألا أنظر إلى فتاة من عمري. كنت أفتّش عن البراءة وعن الطهارة، وصادف أن تعرّفت بكِ آنذاك فوقعت في الفخ لأنني أردت أن أتزوج فتاة لم يسبق لها أن تعرفت إلى رجل.

كانت ستيفاني ترتجف من الغضب.

ـ يا إلهي! تتكلم بطريقة ازدواجية، أنت تتلاعب بمعاني الكلمات، يا لك من رجل مخادع! أنت تتكلم عن قانون خاص بك وعن قانون آخر متعلّق بالنساء... أليس كذلك؟

ابتسم وقال لها: بالضبط! كانت تلك طريقة ازدواجية ولكنه كان شعوري آنذاك. أريد...

وتمنّع عن الكلام. وسكت لبعض الوقت:

ـ حسناً! أخبرتك ما هي الصفقة. عليكِ أن تقرّري: إمّا أن تذهبي معي تاركة أخاك يواصل حياته هنا بهدوء وسلام، وإما أن تبقي هنا وتتحمّلي عواقب قرارك.

ارتدت ونظرت من النافذة إلى الخارج حيث الحياة بدأت تدبّ في المدينة والشمس تنشر أشعتها الذهبية في كلّ مكان. إنها مضطرة للعودة إلى المنزل حالاً أي قبل أن ينهض روبرت وزوجته ويتساءلان عما حصل لها! لن تستطيع أن تواجه أسئلتهما المحرجة.

اتكأت على النافذة وقالت لجيرار:

ـ أشكرك لدعمك. هل تعرف أن قدومك كان بالنسبة لي بريداً أسود؟

ـ سمّيه ما شئتِ ولكن اتخذي قراراً قبل الغد. مهما حصل لن تستطيعي الزواج بإيوان كاميرون، ضعي ذلك نصب عينيك!

صمت وهو ينظر إليها ثم سألها:

ـ هل تحبّينه حقاً؟

ـ لا شأن لك بهذا.

ثم ران الصمت في الغرفة فترة وجيزة كانت خلالها ستيفاني تنظر إلى الطبيعة الفرحة في الخارج مقارنة مع قلبها الحزين كسكون الليل. ماذا تفعل؟ جيرار يقدّم لها خياراً بين سعادتها أو سعادة أخيها. ولكن مهما كان قرارها فلن تكون أبداً سعيدة. كان مُحقاً بذلك، لن يتزوجها إيوان بعد الآن بل هي نفسها لن تستطيع أن تتزوجه، حتى لو أقسم أن تلك الفضيحة التي ارتبط بها اسمها لا تهمه. جعلها وصول جيرار تنيل المفاجيء إلى المدينة تدرك ذلك بكلّ وضوح. كان عليها أن تدرك ذلك من قبل ولكنها حاولت أن تخدع نفسها وأن تعيش في عالم الأحلام المستحيلة.

يجب عليها أن ترحل بعيداً، ولكن كيف تشرح أمر رحيلها لإيوان؟ فالجميع ينتظرون زواجهما. كيف تفترق عنه بهذه البساطة من دون تبرير؟ لن يرضى إيوان بذلك بل سيطلب منها أن تشرح له خلفية هذا القرار المفاجيء وهذا الانقلاب. لن تقنعه أبداً أسباب نافهة. ليس لديها خيار، عليها أن تترك المدينة من دون أن تكلّم أحد. سيصدم إيوان وسيحاول البحث عنها وسيحذو أخوها وكل أصدقائها حذوه.

عليها أن ترحل ولكنّها لن تذهب برفقته، أيعتقد حقاً أنها ستسمح لنفسها بالخضوع لمطالبه؟

أغمضت عينيها من الحزن، تعلم أنّ ثمن سكوته سيكون جسدها واستسلامها له. أدارت وجهها نحوه وقالت له بمرارة:

ـ يجب أن أتّخذ قراري قبل نهار الغد.

كان يراقبها بعينيه الرماديتين. أشعة الشمس تنعكس على وجهه المصقول الوسيم، فتذكرت كيف كانت قامته الممشوقة تضجّ بالحيوية والقوة وكيف كان يشدها هذا المزيج من الشعر الأشقر الجميل ومن تلك الحيوية الجذّابة.

قاطع أفكارها: ماذا تخططين؟ اسمعي أحذرك من مغادرة المدينة من دون علمي.. أرى ذلك في تعابير وجهك وأحذّرك لأنني سأعتبر تصرفك نقضاً لاتفاقنا وسأضطر عندئذ إلى إخبار آل كاميرون بكل شيء.

ـ أنت بالحقيقة إنسان سافل.

ـ أنا أعني ما أقول، فإمّا يكون هناك اتفاق بيننا وإما لا يكون.. إن لم ترتبطي بوعدك فلن أرتبط أنا به أيضاً.

ـ ماذا تريد من وراء كل ذلك؟ أكرهك... ألا ترى ذلك؟

حاولت الخروج فلحقها وهو يبتسم.

ـ ألم تفكري في ما كان عليه شعوري نحوك منذ خمس سنوات عندما اكتشفتُ أنّ صاحبة العينين الزرقاوين البريئة التي أكن لها كلّ الحب والاحترام هي امرأة فاسقة صغيرة؟

ما إن أنهى كلمته الأخيرة حتى تملّكها الغيظ والجنون فراحت تضربه من دون وعي، ولم تتوقف إلاّ بعد شحوب وجهه واحمرار عينيه، فأدركت عندئذ ماذا فعلت.

ابتعد عنها وأدار ظهره لها وكأنه لم يصدّق نفسه لأنه لم يواجهها. شعرت أنه يستعيد أنفاسه ثم أدار وجهه نحوها وهو ينظر إليها نظرة غريبة جعلتها ترتجف، وتمتم قائلاً:

ـ ما كان يجدر بك أن تفعلي ذلك، ستيفاني. لن أنسى ذلك أبداً.

اتجهت ستيفاني بسرعة نحو الباب وأمسكت كيسها الذي وضعت فيه ثيابها.

- يجب أن أذهب وإلاّ استغرب روبرت وغوين أمر غيابي.

- هل لديك سيارة؟

هزّت رأسها إيجاباً.

- حسناً جئت إلى هنا بواسطة القطار لكي أصل باكراً إلى الحفلة، لأنّ السفر بالسيارة يستغرق وقتاً طويلاً. باستطاعتنا أن نستعمل سيارتك للعودة إلى لندن.

- سيارتي!!

- كوني هنا في تمام الساعة التاسعة صباحاً.

حاولت إقناعه بأن يكون واقعياً.

- لا أظنّك جاداً فيما تقول. هذا جنون.

- ربما كان ذلك جنوناً، ولكنّني أعني كلّ كلمة أقولها. لا تحاولي استفزازي، وإلاّ..

- كن عاقلاً يا جيرار! أفهم لماذا لا تريد مني أن أتزوج إيوان. كنت غبية عندما فكرت أن باستطاعتي أن أتزوجه، فأنا لا أريد أن أحدث صدمة لآل كاميرون بزجهم في فضيحة قديمة. ولكن كيف لك أن تعاملني بهذا الشكل؟ لماذا تفعل ذلك؟

- لست تلك الفتاة البريئة... ربما لدي هاجس قديم أريد أن أنقذه، أو سند غير مدفوع أطالب بتسديده. أيتها الحقيرة! لقد استعملتني غطاء لمآربك مع بورغيس.

- لا، هذا ليس صحيحاً.

أغمضت ستيفاني عينيها لحظة وسحبت نفساً طويلاً:

- لا أستطيع أن أترك كل شيء وأذهب بهذه السهولة والسرعة. ماذا

سيكون مصير وظيفتي؟

- لن يلاقوا صعوبة في إيجاد فتاة أخرى تحلّ مكانك.

- وماذا عن أخي؟ ماذا أقول له؟ لا يمكنني تركه من دون أن أبرّر له تصرفي؟ وماذا عن شقتي وأغراضي وثيابي؟ ماذا أفعل بها؟ ماذا سيكون جوابي لأخي إذا سألني ما هو سبب رحيلك المفاجىء؟

- تدبري أمرك، اخترعي الكذبة التي تريدين، فأنت ماهرة في هذا المضمار. قولي له إنك وقعت في غرامي فجأة وإنك ذاهبة معي.

- لن يصدّقني أبداً لأنه يعلم أنني لست من النوع المتهوّر.

- ربما لا يعرفك على حقيقتك، قولي له إنني غني وإنني سأعطيك ما تريدين.

نظرت إليه بغضب ووضعت يدها على ذراعه وهي تقول له:

- جيرار! قل لي الحقيقة، هل تدبّر لي ورطة؟ فقد انتظرت هذه الفرصة منذ خمس سنوات، أكنت حاقداً عليّ طوال هذه المدة؟ يا إلهي كدت أنسى اسمك!

ما إن سمع هذه العبارة حتى تطاير الشرر من عينيه وارتجفت شفتاه فقال لها بنبرة قاسية:

- إذن، أقسم ألا أدعك تنسيه أبداً بعد الآن! لديك خيار واحد وأنا أنصحك أن تكوني هنا غداً في تمام الساعة التاسعة.

فتح لها الباب فخرجت ببطء وأدارت وجهها نحوه محاولة الاعتراض على تصرّفه، ولكنه سارع يقفل الباب. أخذت تتساءل: إنه لا يعي ما يقول، إنه محام وهو يعيش وفقاً للقانون، فكيف يتصرف بهذه الطريقة الإجرامية؟ ماذا لو ذهبت إلى دائرة الشرطة؟ لا شك أنهم سيقتادونه إلى السجن، فكرت بهذا وهي تمشي رويداً في الممر وصولاً إلى المصعد. ولكن ما هي القرائن التي ستقدّمها لرجال الشرطة؟ وهل

سيصدقون روايتها؟ أنسيت أنها كانت منذ خمس سنوات متهمة بالتواطؤ في جريمة عامة؟ فإذا ما حاول رجال الشرطة البحث في خلفية سجلها فسيعرفون كل شيء عنها، علماً أنَّ جيرار محام شهير ناجح ومحترم. عندئذ من سيصدقون؟ روايتها أم روايته؟ وإذا أُجبرت على أن تروي لهم قصتها فستنشرها الجرائد، وعندئذ يخسر أخوها عمله وسيسبّب ذلك إحراجاً كبيراً لإيوان وعائلته، وبهذا تجلب الضرر لكل الذين تحبّهم.

عندما وصلت ستيفاني إلى الطابق السفلي تمكنت من الخروج من الفندق من دون أن يراها أحد لأن موظف المكتب كان منهمكاً باستقبال أحد الزبائن. مشت على شاطىء البحر حتى وصلت إلى سيارتها. كان النهار جميلاً والسماء زرقاء رائعة، ماذا ستقول لروبرت وغوين؟ لا يمكنها مناقشتهما بالموضوع ولن تتمكن من الإجابة بسهولة على أسئلتهما لأنها لن تقدر أن تكذب.

صعدت بسيارتها وانطلقت بسرعة حتى وصلت إلى المنزل، ولحسن حظّها كان شقيقها وزوجته نائمين فقد تأخرا في السهرة أمس.

صعدت إلى شقتها وحاولت أن تنام، ولكن الأفكار السوداء شوّشت رأسها ومنعتها من النوم. حاولت أن تجد حلاً لمشكلتها فوجدت أن كلّ الطرق مسدودة أمامها. فكّرت أخيراً في كتابة رسالة لروبرت تخبره فيها كما قال لها جيرار أنّها وقعت في غرامه وذهبت معه. سيصدم الخبر إيوان. ماذا سيقول عنها؟ اغرورقت عيناها بالدموع بسبب حظها التعيس. في مطلق الأحوال ستكون الصدمة أكبر بالنسبة إليه إذا علم بقضية بورغيس وضلوعها فيها.

استعادت ستيفاني بسرعة ذكريات حياتها. كانت قد أنهت دراستها الثانوية عندما قرر والداها أن يسافرا برفقتها إلى أوستراليا لتمضية سنة

هناك عند شقيقتها المتزوجة والمقيمة هناك منذ أربع سنوات. كانت ستيفاني آنذاك في عمر الربيع لا تعرف شيئاً من الدنيا ولم تقم بزيارة أي بلد، وها هي الآن تقوم برحلة حول الكرة الأرضية تهبط خلالها الطائرة في بلدان عديدة رائعة: سنغافورة، بالي، بانكوك، هونغ كونغ. كانت رحلة العمر، وكان أهلها يدركان أنه ليس بمقدورهما أن يقوما بها مرة ثانية..

لم يكن باستطاعة روبرت مرافقتهم لأنه يعمل في الصيف ويلتحق بكلية الطب في الشتاء وهو بحكم عمله نادراً ما يأتي إلى المنزل.

سرّت أندريا كثيراً بلقاء أهلها وشقيقتها الصغيرة ستيفاني التي تركتها طفلة. ولكن ما إن وصل آل ستيوارت إلى منزل ابنتهم في أوستراليا حتى تبيّن لهم أن وجودهم سيشكّل إحراجاً لابنتهم أندريا وعائلتها فمنزلها الصغير يتألف فقط من ثلاثة غرف، كانت اندريا وزوجها ومولودتها الصغيرة باني يشغلون إحداها، أما الغرفة الثانية فتشغلها ابنتاها الصغيرتان آنّ وفيليبا والغرفة الثالثة خُصّصت لوالديها.

طلبت اندريا من ستيفاني أن تنام في غرفة الجلوس فقبلت، ولكن الحياة المنزلية لم تكن سهلة بسبب ضيق المنزل. فزوج اندريا الذي كان ينهض باكراً للذهاب إلى عمله يضطر أحياناً للبحث في غرفة الجلوس عن أغراض نسيها هناك في السهرة وهذا ما سبّب إزعاجاً كبيراً لستيفاني. لم تشأ أن تخبر أهلها بذلك وبرغبتها في العودة إلى انكلترا لأنها بتصرفها هذا ستقطع عنهما رحلة العمر ولأنهما لن يقبلا أن تعود بمفردها.

فكّرت ستيفاني في إيجاد حل لهذه المشكلة من دون إزعاج أهلها، فراحت تفتّش عن وظيفة حتى قرأت إعلاناً في الجريدة يطلبون فيه: «مربية شابة كمساعدة أم في تربية أولادها» في أحد مزارع كوينز لاند وهي على بعد خمسين ميلاً من منزل اندريا.

فرحت لأنه سيكون لها غرفتها الخاصة وستتقاضى راتباً جيداً، وسيبقى أهلها على ما يرام عند شقيقتها... بعد بضعة أيام اصطحبها صهرها بسيارته إلى منزل يورغيس فقابلت ربة المنزل واتفقت معها على العمل.

أعجبت ستيفاني كثيراً بذلك المنزل الفخم الفسيح وبالحدائق الجميلة التي تحيط به، كان لعائلة يورغيس ولدان: مات في الخامسة من عمره وأليونورا في سنّ السابعة. في مقابلتها الأولى معهما كانا في غاية اللطف والهدوء والتعقّل، ولكن تبيّن لها فيما بعد أنهما عصبيان جداً وخصوصاً مع أمّهما.

في اليوم الأول على وجودها في المنزل، لم تشاهد ستيفاني «تيو يورغيس» لأنه مسافر بسبب عمله. قالت لها زوجته إن زوجها رجل ثري جداً يملك مزارع ومصانع عديدة، وهو صاحب مركز اجتماعي معروف في المنطقة.

كانت السيدة يورغيس امرأة رائعة الجمال في الثلاثين من العمر، ولكنها تبدو أصغر من ذلك بكثير بشرتها طرية عذبة وعيناها خضراوان، وشعرها أشقر. ترتدي أغلى الثياب وأجملها، وتضع الجواهر والعقود والسلاسل الذهبية والخواتم الثمينة في أناملها وحول معصميها وعنقها.

بعد مقابلتها للسيدة يورغيس واتفاقها معها عادت ستيفاني مع صهرها إلى المنزل لتجلب أغراضها وعادت في اليوم التالي إلى عملها.

ولكنها في أعماقها لم تكن مطمئنة إلى شخصية السيدة يورغيس وهذا ما كان عليه حال فيليب الذي قال لها وهو يقود سيارته:

- لم أر قطّ امرأة تضع هذا العدد الهائل من الخواتم والعقود والحلى الباهظة الثمن.

أجابته ستيفاني:

- ما همنا؟ لديها مال كثير ولكنّها تفتقر إلى الذوق.

حالما وصلا إلى المنزل سألتها أختها:

- هل أعجبك المكان؟

- إنه رائع.

- ولكنه بعيد عليك، في مطلق الأحوال إذا لم تستريحي في عملك اتصلي بنا مباشرة ليذهب فيليب حالاً ويعود بك إلى المنزل.

في اليوم التالي، عادت ستيفاني إلى مركز عملها الجديد في «سويت ووتر». كانت متوتّرة قليلاً، ولكنها قابلت هذه المرة رب المنزل السيد تيو يورغيس، وكم اطمأنت لهدوئه ودمائته ولمعاملته. كان طويل القامة في الأربعين من عمره، يميل قليلاً إلى البدانة رمادي الشعر.

ولكن ظهر عليه للوهلة الأولى دلائل عدم الراحة.

- إنك صغيرة جداً بل أصغر مما كنت أنتظر. أتستطيعين حقاً تربية الأولاد؟ أولادي بحاجة إلى مربية متّزنة حازمة.

- إنهم يتكيّفون بسرعة. سأتدبّر حالي معهم، وزوجتك سيدة رائعة.

توقعت أن يسعده هذا الكلام ولكنها على العكس لاحظت القلق والانقباض على وجهه.

كانت ستيفاني مرتبكة بخصوص عملها لأنه بعيد عن أهلها وغير آمن ولكنها من جهة أخرى اطمأنت للسيد يورغيس وأحبّته، فقد بدا أنه إنسان طيب لا خوف منه.

في الأسبوع التالي قابلت ستيفاني جيرار تينيل الذي كان مدعوّاً إلى العشاء في منزل آل يورغيس، وهو محام إنكليزي شاب جاء إلى أوستراليا لتمضية سنة يقوم خلالها بدراسة أصول القانون الأوسترالي،

www.rewity.com

وهو أحد أنسباء السيدة يورغيس.

لم تفارق عيناه وجهها طوال السهرة، وبعد العشاء جلس معها على انفراد في إحدى زوايا الحديقة ودعاها إلى العشاء في اليوم التالي خارج المنزل.

كانت ستيفاني لا تزال فتاة يافعة في الثامنة عشرة من العمر. وقد جذبها إليه وأثارها. كان أوسم شاب أبصرته في حياتها، يرتدي بزّة أنيقة سوداء، شعره حريريّ أشقر رائع وبشرته ذهبية اللون وعيناه رماديتان غريبتان. أطاح بها منذ اللحظة الأولى فلم تعد تدري كيف تتكلم معه. كانت تجلس قربه بصمت وتكتفي بالاستماع إلى حديثه، وتعلّقت به كثيراً.

راحت ستيفاني تلاحظ تدريجياً أن السيدة يورغيس امرأة متقلّبة الطباع عصبية، فأحياناً تراها هادئة مبتسمة وأحياناً أخرى ثائرة، غاضبة ودنيئة. فعلمت عندئذ لماذا مات وإليونورا يظهران العصبية في حضور أنهما. فالسبب أنها غير موزونة، فتارة تقبلهما وتغدق عليهما الهدايا والألعاب، وتارة تصرخ بوجههما وتضربهما وقد جرحت مرة وجه إليونورا بخاتمها عندما برحتها ضرباً.

لذلك حرصت على سلامتهما فلم تتركهما خاصة في النهار. هكذا كان باستطاعتها أن ترى جيرار وتخرج معه في المساء لأن السيد تيو يكون عادة في المنزل قرب ولديه.

كان السيد تيو رجلاً ذكياً، حريصاً، هادئاً. وكان يوبّخ زوجته على معاملتها القاسية للولدين وطالما قال لستيفاني إن زوجته امرأة شريرة قوية جداً عصبية، ومتقلّبة المزاج لذا من الأفضل أن يظل الولدين بعيدين عنها.

كان أحياناً في ساعات فراغه يسبح مع ولديه ويلعب بالورق م

ستيفاني ويسمح لهما بالصراخ واللعب ليشعرا بالحرية، ولكن دائماً في حدود النظام. كان يحبهما ويفرح كثيراً لدى رؤيتهما سعيدين عندما تكون زوجته غائبة.

لكن تصرفات السيدة يورغيس وغيابها أثارا الشكوك في رأس ستيفاني. فتلك المرأة عجيبة وغريبة الأطوار أحاطت نفسها بعدد وفير من الخدم والموظفين. وكانت تهوى سباق السيارات، فتُجبر ولديها على الصعود معها في السيارة وتقودها بسرعة جنونية. وعندما كانت ترى ولديها يصرخان من الخوف والرعب تنفجر في ضحك هستيري وإذا ما حاولت ستيفاني أن تتدخل لحمايتهما كانت تصرخ بوجهها وتحاول أن تضربها.

لكنّ الحادثة الأهمّ كانت تلك التي وقعت في صباح اليوم التالي لحفلة ساهرة أقامها جيران آل يورغيس ودعوهم إليها.

ظلّت ستيفاني ترقص مع جيرار لمدة أربع ساعات كانت خلالها تعيش في دنيا من المرح والحب والسعادة. ونهضت في اليوم التالي فرحةً لأن ذكرى ليلة أمس السعيدة لم تفارقها حين أطلّت فيولا يورغيس وراحت تتهجّم عليها.

- لا أريد منك أن تركضي وراء جيرار تينيل، هل تسمعينني؟ إنه لا يهتم بتلميذة صغيرة مثلك. هو رجل مثقّف واجتماعي، أراد أن يراقصني ليلة أمس، ولكنك التصقت به طوال الوقت ورحت تدورين حوله. أقتلك إذا اقتربت منه بعد الآن.

حاولت ستيفاني أن تعترض وتدافع عن نفسها ولكنّها أخطأت لأنّ محاولتها ضاعفت غضب فيولا، فراحت تصرخ وتولول بهستيرية. أدركت ستيفاني أنها تغار منها كثيراً لأنها تريد جيرار لنفسها، جيرار الذي لم يهتم أمس إلاّ بها. بدت في ثورة غضبها امرأة عنيفة شريرة.

ـ لا تحاولي حتى النظر إليه فهو يأتي إلى هنا ليراني! دعيه وشأنه! إنه لي.

نظرت إليها ستيفاني مذعورة فأصابتها نوبة هستيريا جديدة وراحت تنهال عليها بالضرب. ولمّا حاولت أن تهرب منها علقت بالسجادة ووقعت على الأرض فأخذت فيولا ترفسها برجلها على ضلوعها حتى كادت تنهار من الألم. انفتح الباب فجأة وأطلّ ثيو يورغيس الذي ما إن رأى هذا المشهد المريع حتى ركض ودفع زوجته بعيداً عن الفتاة ثم ركع على الأرض ووضع يده تحت ذراعيها ليحملها وهو يصرخ:

ـ يا إلهي! ستيفي هل مسّتك سوء؟ ماذا فعلتْ بكِ؟ آسف جداً يا عزيزتي، لا تبكي يا حبيبتي الصغيرة، لن أدعها بعد الآن تمسّك بأذى.

صدمها هذا التصرف وهذا اللطف والحنان في صوته، لم تعلم قطّ أنّ ثيو متيم بحبها وراح يناديها من جديد: «يا حبيبتي الصغيرة المسكينة... لن أدعها تقترب منك».

فقاطعته ستيفاني التي تملكها الذهول والرعب ما إن شاهدت فيولا التي ركضت كالمجنونة وفي يديها بندقية زوجها وكانت قد جلبتها من مكتبه. عندما شاهدها ثيو تملّكه الخوف لأنه رآها تضحك بشكل مرعب.

ـ أوه! أنتَ خائف الآن! ـ صوّبت البندقية إليهما! ـ ستتخلّى عني من أجل هذه الخادمة الحقيرة؟ لا لن يحصل ذلك ما دمت على قيد الحياة. لست مجنونة... أتريد أن تتخلّص مني لتحصل عليها؟ ماذا لديها أفضل مني؟ جيرار يركض وراءها وها أنت الآن تفعل ذلك أيضاً، يجب أن تكون مميزة لتجعلكما كالخاتم في إصبعها.

ـ فيولا، أنت مضطربة جداً... الآن اسمعي ما أقول لك.

ـ لقد سئمت الاستماع إليك! وداعاً..

ظلّت ستيفاني للحظات قليلة لا تصدّق ما قد حصل... كانت راكعة على الأرض، مرعوبة مصدومة من الطلقات النارية التي سمعتها. ثيو ممدد فوقها يحميها بجسمه. كانت فيولا قد أطلقت النار عليهما معاً وكانت البندقية ما تزال مصوّبة إلى رأسها... وكادت ستيفاني تموت من الرعب والخوف أما فيولا فراحت تضحك بسخرية وهي تنظر إليها. ثم ما لبثت ستيفاني أن غابت عن وعيها واستفاقت لتجد نفسها في حالة من الانهيار التام.

* * *

٤ ـ قيدها في يده

لم يكن باستطاعتها أن تظلّ مختبئة في شقتها إلى الأبد... بعد ساعة أو أكثر على قدومها من الفندق، قرع روبرت بابها:

ـ هل نهضت أيتها النائمة الجميلة؟

ظن لأول وهلة أنها قد نهضت منذ لحظات، ولكنه استغرب عندما فتح الباب ورآها مرتدية ثيابها واقفة أمام المرآة تضع بعض مستحضرات التجميل على وجهها..

ـ كيف تشعرين اليوم؟ ما زلت شاحبة الوجه.

حاولت ستيفاني أن تبتسم:

ـ أنا على ما يرام.

ـ تعالي لتناول فطور الصباح معنا، لقد حضّرت خصيصاً لك جبنة مع البيض وعصير التفاح.

رافقته إلى المطبخ حيث كانت غوين ترتدي جينزها القديم وقميصاً وردي اللون وتوشك أن تنهي تحضير الطعام.

كانت مناسبة جميلة لأنهم نادراً ما يجتمعون صباحاً لتناول طعام الفطور خلال الأسبوع بسبب ظروف عملهم. لكن في أيام الأحد يحلو لهم الجلوس معاً، فغوين تحبّ الطبخ وهي تحرص دائماً على تحضير أطعمة شهية.

ربما كانت المرة الأخيرة التي تتناول فيها ستيفاني طعام الفطور مع

روبرت وغوين... كانت الأفكار المظلمة تدمي قلبها، فهي مشوشة الذهن ولكنها مسرورة لأنهما لم يعرفا شيئاً مما حدث.

روبرت هو بالفعل شقيق عظيم محب، فبعد عودتها من أوستراليا حرص أن تسكن معه وحوّل الغرفة الموجودة فوق المرآب إلى شقة صغيرة مخصّصة لها. أحياناً كانت تتعجب من محبة روبرت وحرصه على راحتها وسعادتها لأن لديه بعض التحفّظات بما يتعلق بالمشكلة التي وقعت في أوستراليا، لكنه كان يخاف عليها من خلفيات الحادثة المؤلمة التي سببت لها الاضطراب والحزن.. في ذاك الوقت شدّدت عائلتها على براءتها التامة وبنى الادعاء مرافعته على حالات انفصام الشخصية المتقطعة عند فيولا بورغيس التي أصيبت قبل مجيء ستيفاني إلى منزلها امرأة خطيرة من وقت إلى آخر.

أما المحامون الموكلون بالدفاع عن فيولا فركزوا على اتّهام ستيفاني بوجود علاقة مريبة بينها وبين ثيو بورغيس. لم تأتِ فيولا قط على ذكر جيرار وغيرتها من ستيفاني لأنه متعلق بها، فهذه النقطة بمثابة قرينة قد تحطم قضيتها ودفاعها. وتحكم عليها بالموت. ولكنها ركّزت دفاعها على العلاقة بين ستيفاني وثيو لكي تبرّر جريمتها وتخفّف عقوبتها.

خلال الجلسة التي طلبت فيها فيولا لاستجوابها طرح عليها السؤال التالي: ماذا قال ثيو عندما كان راكعاً على ركبتيه قرب ستيفاني وهو يمسكها بين ذراعيه؟ فتظاهرت فيولا بالحزن والحسرة والغيرة وأخيراً قالت إن ثيو كان يناديها يا حبيبتي الصغيرة.

لم يكن باستطاعة ستيفاني آنذاك أن تتحمّل نظرات الحاضرين القاسية ووشوشاتهم، ونظرة الفرح والانتصار والشماتة على وجه فيولا.

ماذا كان بوسعها أن تفعل؟ لقد اعترضت وأكّدت أنها لا تعلم السبب الذي دفع ثيو إلى التلفظ بهذه الكلمة، وأنه ليس هناك علاقة بينها وبينه فهو رب عملها. ولكن ثمة شهود أكّدوا أنها كانت تلعب مع ثيو والولدين في حوض السباحة عندما تكون فيولا خارج المنزل، كما أكّد الشهود أيضاً أنّ ثيو والولدين أصبحوا أكثر فرحة وحبوراً منذ قدوم ستيفاني إلى المنزل.

من جهة أخرى حاول الادّعاء أن يبرهن أن ثيو كان على خلاف دائم وخصام مستمر مع زوجته فعوّض عن هذه الحالة بالتقرّب من ستيفاني التي حاولت أن تجعل حياته سعيدة. اتّهمت ستيفاني من دون إثبات مذنبة من الدرجة الأخيرة بنزوعها إلى إقامة علاقة مع رجل متزوج حتى إذا كانت لم تقم بذلك.

وحكمت المحكمة على فيولا بالذنب، ولكنها خففت عقوبتها لأنها مصابة بانفصام في الشخصية وحكم عليها بالسجن في أحد المصحّات العقلية. وطلبت المحكمة بوضع الطفلين تحت وصاية عمّتهما المقيمة في سيدني.

عادت ستيفاني إلى انكلترا حيث لم تذكر وسائل الاعلام أي شيء يخص القضية لذا لم يعلم أحد بما حدث.

لم تُستدع إلى المحكمة لاستجوابها ولكنها وجدت مذنبة، فوشوشات الناس ونظراتهم إليها أينما ذهبت في كوينز لاند كانت تحطّمها، لأن الجميع اعتقد أنها كانت عشيقة ثيو. لم يكن باستطاعتها حتى الدفاع عن نفسها، فحتى جيرار صدّق التهمة وتجاهلها كلياً ولم يحاول قطّ أن يراها أو يتقرّب منها. حطمها وجوده في قاعة المحكمة وسكوته المطلق ونظراته القاسية كلياً، وعندما عادت إلى انكلترا تمنّت ألا تراه ثانية.

قال روبرت: ماذا ستفعل اليوم؟

أخذت غوين تقرأ له برنامج الأحد الذي أعدته.

- أولاً: الغسيل.

- أرجوك غوين! لماذا لا تؤجلين ذلك؟ فنحن بحاجة إلى الراحة والترفيه عن النفس.

- وماذا سنفعل بثيابك الوسخة، وبجلي الصحون، وبترتيب المنزل؟ لا يمكننا أن نترك كل ذلك وراء ظهرنا ونذهب.

فكرت ستيفاني بإيجاد حل لهذا الجدال، فهي بحاجة إلى الراحة والانفراد والتفكير فقالت لأخيها وزوجته:

- سأبقى في المنزل، وأقوم بكل الأعمال والترتيبات اللازمة لأن إيوان آتٍ من دون شك للاطمئنان عليّ، ماذا تنتظران؟ استقلا السيارة وقوما برحلة إلى الريف فأنتما بحاجة إلى الراحة وإلى الاستمتاع بجمال الطبيعة.

قفز روبرت وقبّلها: إنكِ أفضل شقيقة في الدنيا.

ثم أمسك ذراع زوجته وتوجّه معها إلى السيارة وهو يقول لها: أسرعي، أسرعي قبل أن تغيّر ستيفاني رأيها.

عندما انطلقت السيارة، بدأت ستيفاني بغسل الثياب وبترتيب المنزل وعندما انتهت من عملها جلست تكتب الرسائل. هناك أشياء كثيرة تريد أن تقولها... ظلت عدة ساعات تكتب وعندما انتهت من رسائلها وضعتها داخل المغلّفات وخبّأتها في حقيبة يدها.

وصل إيوان إلى المنزل في الساعة الثالثة من بعد الظهر. وكان قد تناول طعام الغداء هذا الأحد مع والدته.

نظرت إليه بفرح عندما فتحت له الباب.

- هللو! كيف حالك اليوم؟

ـ أنا بخير.

حاولت أن تخفي اضطرابها وتصرفت بشكل طبيعي.

ـ أعتقد أنك أمضيت النهار في الفراش لأنك كنت متعبة أمس. أين روبرت وغوين؟

ـ لقد ذهبا إلى الريف للقيام برحلة في الطبيعة.

ـ هذا ما يلزمك بالتأكيد. تعالي!

واقتادها بيده إلى السيارة. وهناك راح يتكلم ولكن فكرها كان مشوشاً لذا لم تستطع التركيز على حديثه وظلت معظم الوقت صامتة. فجأة انتفضت عندما سمعت اسم جيرار، ونظرت إلى إيوان الذي كان يتكلم بصوت عال:

ـ إنه غريب الأطوار... استغربت والدتي مجيئه، فهي أرسلت دعوة إلى أمه ولم تنتظر قطّ أن يأتي هو بدلاً عنها. أعتقد أنه يحاول أن يقتل عصفورين بحجر واحد: ينجز عمله هنا، ويقوم بزيارة غير متوقعة إلى الحفلة.

كان إيوان يضحك وهو يتكلّم:

ـ تعتقد والدتي أنه «قاتل النساء» هذا ما قالته لها أمّه ذات مرة. أعتقد أنه شخص مضحك غريب الأطوار. ما رأيك به؟

سحبت نفساً عميقاً إذ لم تكن تدري من أين تبدأ.

ـ أنا لا أثق بالرجل الوسيم.

ـ طويل، متكتّم وأنيق... لا تنطبق هذه المواصفات عليّ، فشعري أحمر كان يجب أن أغيّر لونه.

ابتسمت وقالت له: «أحبّ الشعر الأحمر».

حاول إيوان أن يرفّه عنها ويضحكها، وأحست بالحسرة والانقباض لأن فرصة العمر ستفوتها. كان إيوان على وشك أن يطلب يدها للزواج

لكن حضور جيرار قلب الأمور رأساً على عقب. لماذا يعاندها القدر؟ كانا يسيران بالسيارة على شاطىء البحر والشمس على وشك المغيب والظلام يكاد يخيّم على الطبيعة. في طريق العودة إلى واي فيل عرّجا لتناول طعام العشاء في أحد المطاعم المتواجدة على شاطىء البحر. عجّ المكان بالزبائن حتى لم يجدا مكاناً للجلوس، ففضّلا أن يتمشّيا قليلاً على الشاطىء قبل العودة إلى المنزل. كانت الساعة التاسعة مساءً عندما شاهدا جيرار تينيل يتمشّى بدوره وحيداً على الشاطىء، فناداه إيوان متعجباً:

ـ أما زلت هنا؟

ـ أجل، ولكنني راحل غداً صباحاً.

كان يتكلم وهو ينظر إلى ستيفاني نظرة قاسية.

حاولت ستيفاني المحافظة على رباطة جأشها فلم تكترث بنظراته الحادة، فهي لا تريد أن تخسر هذه اللحظات القليلة الأخيرة مع إيوان. صعدا في السيارة وتركاه يتابع المسير على الشاطىء.

قال لها إيوان:

ـ بصراحة لم أسترح إلى هذا الشخص ولكن دعينا منه... لا أريد أن أفسد هذا النهار الرائع الذي قضيناه معاً بالتكلم عنه.

استعادت ستيفاني في ذاكرتها بسرعة الأوقات السعيدة التي أمضتها مع إيوان والتي ستحرم منها إلى الأبد... أحسّت بحزن عميق لأن الوقت يمرّ بسرعة، فسيأتي الغد وهي لا تعرف ماذا تفعل بشأن جيرار تينيل.

في اليوم التالي تركت المنزل كالمعتاد، كانت قد وضعت أغراضها في صندوق السيارة وقبل أن تنطلق إلى الفندق وضعت الرسائل في صندوق البريد الموجود في مدخل المنزل.

www.rewity.com/vb
ريوتي وايت

كانت غوين نائمة لأن دوام عملها في الليل، أمّا روبرت فترك المنزل قبلها. ألقت نظرة حزينة على هذا المنزل الذي أحبّته وانطلقت بسيارتها إلى الفندق... في الطريق راحت تستعيد الذكريات الحلوة والمرة التي مرت بها، ولا سيما تلك المرحلة الدقيقة السوداء في المحاكمة التي غيرت مجرى حياتها، وما نتج عنها من عذابات وإحباط ومحاولات صعبة لاستعادة العافية والحياة الطبيعية. كادت تنجح وتستقرّ وتشعر بالسعادة من جديد في هذه المدينة الصغيرة، مع أهلها وأصدقائها وعملها وعلاقتها الحميمة مع إيوان. لكن كل شيء انهار الآن...

عندما وصلت إلى الفندق لم تجد أحداً في مكتب الاستقبال، والتقت عند المدخل بالبوّاب الذي حيّاها وقال لها:

- من سرق منكِ ابتسامتك العذبة؟

حاولت الابتسام:

- إنني متعبة جداً، هل نزل المدير إلى مكتبه؟

- لا، ما زال يتناول طعام الفطور في غرفته. نسيت أن أقول لك: هناك رسالة لك من أحد نزلاء الفندق، وقد طلب مني أن أخبرك أنه يودّ مقابلتك لدى وصولك وهو يدعى السيد تينيل.

- سأصعد لأراه.

- هل هناك مشكلة؟ هل تريدين أن أبحث ذلك معه؟

ابتسمت: شكراً! سأرى شخصياً ماذا يريد.

عندما فتحت الباب وجدت جيرار مرتدياً ثيابه. ألقى عليها نظرة باردة وهو يتطلع إلى وجهها الشاحب.

- ادخلي واقفلي الباب، أنا جاهز... لقد حضرت حقيبتي وقابلت المدير مساء أمس، دفعت له إيجار الغرفة وقلت له إنني سأصطحبك

معي.

انتفضت بعصبية: لماذا قلت له ذلك؟

- لا تتسرعي! قلت له إنني عرضت عليك وظيفة جديدة في لندن، وقد دفعت له العطل والضرر لقاء المدة التي سيحتاجها ليجد شخصاً يحلّ مكانك.

فقالت له بغضب واضطراب: «لا يحقّ لك أن تفعل ذلك، ألا تدري أنه سيخبر أخي؟ إنها مدينة صغيرة يعرف فيها الجميع بعضهم بعضاً، وسينتشر الخبر في كلّ أنحاء المدينة خلال أربع وعشرين ساعة. سيعرف أخي أين يجدني ويأتي ليراني».

- هل تفكرين في الاختفاء عن أنظار أخيك كل العمر؟

- ماذا باستطاعتي أن أفعل غير ذلك؟

- أنت حقاً إنسانة متطرفة!

اشتعلت غضباً وصرخت بوجهه: «كيف تتجرأ على قول ذلك لي؟ ألا ترى ماذا تفعل بي؟ أنت تدمّر حياتي وتمنعني من الاعتراض ومن الكلام».

وضع يده على فمها وهو يقول:

- لا تصرخي! أتريدين أن يسمعك كل من في الفندق؟ خلتك تخافين أن يتعرف الناس في هذه المدينة إلى قضيتك وماضيك.

حاولت أن تضربه بيدها ولكنه أمسكها بسرعة وهو يقول لها:

- لن أدعك تضربينني... والآن استمعي إلى ما سأقوله لك: أنت الآن امرأة راشدة، لك كل الحق أن تعيشي حياتك كما تشاءين من دون أن تستشيري أخاك في كل شيء، فهو ليس وصياً عليك. إذا جاء يفتش عنك في لندن فسنناقش المشكلة معه بتروٍ.

رددت بغضب «نحن؟ كيف تتجرأ وتشملني بكلّ بساطة وبرودة

أعصاب؟»

ترك يدها وهو ينظر إليها بسخرية: هذه هي الحقيقة، فنحن مُقيّدان الآن ببعضنا بعضاً.

لم يعجب هذا الكلام ستيفاني بل ضاعف انفعالها وغضبها:

ـ لا يحق لك أبداً أن تتكلم مع المدير بالنيابة عني، لأنني كتبت له رسالة بهذا الخصوص.

ـ ما هو العذر الذي قدمته لغيابك؟

ـ لا أستطيع الكذب، قلت له بكلّ إيجاز أنا متأسفة ومضطرة أن أترك العمل.

ـ ماذا كتبت لأخيك؟

ـ هذا لا يعنيك.

ـ إذا جاء يفتش عنك فسيكون للأمر علاقة بي شخصياً، لذلك يجب أن أعرف كيف أتصرف معه.

ردّت بغضب وانفعال: «أخبرته أنه اتضح لي أخيراً أنني لن أقدر إلى ما لا نهاية أن أستر وأخفي ما قد حصل معي في أوستراليا ولا أريد أن أتسبّب بفضيحة أخرى هنا، كما لا أريد أن أؤذي الأشخاص الذين أحبّهم وأحترمهم، لذلك أنا ذاهبة إلى لندن حيث لن يشعر أحد بي... ومن الأسهل هناك تناسي الماضي حيث الناس لا تترصّد الأخبار كما هي الحال في المدن الصغيرة مثل واي فيل».

ـ وماذا كتبت لإيوان وماذا قلت له؟

ـ هذا شأني... دعني من أسئلتك المحرجة، ألا يكفيك أنني ذاهبة معك؟ من الأفضل لنا أن ننزل ونذهب قبل أن يرانا أحد.

تناول جيرار الحقيبتين في يديه وقال: من المستحسن ألا ننزل بالمصعد... هل من طريقة أخرى للنزول من دون أن يرانا البوّاب؟

ـ سنسلك السلالم الخلفية. هل نسيت أي شيء في الغرفة؟

ـ أجل... أظنني نسيت معطفي شكراً لأنك ذكرتني به.

نظرت ستيفاني فرأت المعطف على الكرسي، وضعته على ذراعها وانطلقت أمامه نحو السلالم ومنها إلى ممر خلفيّ يؤدّي مباشرة إلى موقف السيارات. كانت تمشي على أعصابها، حتى وصلا إلى السيارة فوضعا الحقيبتين في الصندوق، وانطلقت بسرعة إلى الخارج. كانت خائفة ومرتبكة فسلكت طريق المدينة الخلفي لأنه طريق منعزل يمكنها من خلاله الوصول بسرعة إلى الطريق الرئيسية التي تقود إلى لندن. كان السير قد بدأ تدريجياً يتكاثف فتناست ستيفاني وقتياً مشاكلها لتركّز انتباهها على القيادة. لاحظ جيرار ارتباكها فقال لها:

ـ هل تريدين أن أقود نيابة عنك؟

ـ شكراً. أنا أحب القيادة.

هل كان فعلاً جاداً أمس عندما قال لها إنه لا يزال يريدها؟ أهو صادق فعلاً بقوله؟ كانت بالأمس منفعلة جداً واعتبرت كلامه من باب السخرية، ولكنّها الآن لا تصدّق إنه كان يعني ما يقول...

حاول أن يخيفها كثيراً ليدفعها إلى ترك المدينة. ألهذا السبب جاء فوراً إلى واي فيل بعد قراءة الدعوة الموجّهة إلى آنه من السيدة كامبرون؟ كان قد صمّم على منعها من الزواج بإيوان والمخاطرة بإقحام آل كامبرون في فضيحة قديمة.

نظرت ستيفاني إلى جيرار وقالت له:

ـ هل بإمكانك أن تدبّر لي فندقاً جيداً في لندن شرط ألا يكون باهظاً؟ لأنني لم أحمل معي دراهم كافية وأنا مضطرة في الوقت الحاضر أن أنزل في الفندق ريثما أجد شقة تناسبني.

ظلّ صامتاً بعض الوقت ولم يجاوبها فنظرت إليه فإذا وجهه بارد.

أخيراً أجابها:

ـ سنمكثين معي.

ارتعبت من هذا الجواب وحلّ التعب والوهن في يديها فانحرفت السيارة عن خطها وكادت تصطدم بسيارة تسير إلى جانبها، راح صاحبها يصرخ بوجهها ويلومها على قلة انتباهها وسوء قيادتها.

انفعل جيرار وقال لها:

ـ اتجهي بسيارتك إلى المخرج التالي من الأوتوستراد ثم حاولي أن تتوقفي إلى يمين الطريق فلست مستعجلاً على الموت، سأقود السيارة بنفسي.

كانت ستيفاني مضطربة جداً فأطاعته من دون اعتراض وأخذت طريقاً فرعياً هادئاً حيث توقفت. كانت يداها لا تزالان ترتجفان من الخوف.

قال لها جيرار بطريقة حازمة: «أخرجي من السيارة».

ـ ماذا تحاول أن تقول؟ أرفض أن أسكن معك.

ـ هذا ليس المكان المناسب لمناقشة هذا الموضوع. سنتباحث في الموضوع لدى وصولنا إلى لندن.

خرجت ستيفاني من السيارة وهي تنظر إليه بغضب:

ـ أتظن حقاً أنني قد أقبل هذه الدعوة؟

ـ لم تكن دعوة، بل هي أمر.

أخذت تصرخ بوجهه وحاولت أن تضربه بيديها ولكنه أقفل زجاج السيارة.

ـ لا يحق لك أن تملي أوامرك علي.

ـ ادخلي إلى السيارة.

استدارت من خلف السيارة وجلست في المقعد الأمامي وهي تكاد

تختنق من الانفعال. وقالت له وهي ترتجف:

ـ لن أعيش معك.

ـ وأنا لن أدعك تبتعدين عن نظري حتى نتزوج.

ونظر إليها ليرى ردة فعلها...

* * *

٥ ـ هي وهو والخوف

التزمت ستيفاني الصمت طوال الوقت المتبقّي من الرحلة. كان جيرار من وقت إلى آخر يسترق النظرات إليها فتتجاهلها. ولكنّه لم يحاول أبداً أن يتكلّم بل ظلّ صامتاً لأنّ السير ازدحم كثيراً لدى اقترابه من لندن فكان عليه أن يركّز انتباهه على القيادة. إن ازدحام السير في لندن يثير الأعصاب. لم تكن ستيفاني حتى هذا التاريخ قد قادت سيارتها في سوى المدن الصغيرة والأرياف والطرقات النائية، فلا شك أنه سيصعب عليها كثيراً القيادة في مثل هذا الازدحام القاتل.

عندما تكلّم عن مسألة الزواج وقع كلامه عليها كالصاعقة، فتوتّرت أعصابها وانفجر غضبها، أما هو فأخذ يبتسم.

أجابته بحدّة:

ـ هذا مستحيل، أنت مجنون! أفضّل الموت على ذلك.

لكنه أدار السيارة وانطلق من دون أن يجيبها وسلك الأوتوستراد المؤدي إلى لندن. عادت ستيفاني بعد هذه الثورة تدريجياً إلى هدوئها ولزمت الصمت طوال الطريق... سأريه ماذا سأفعل لدى وصولنا إلى لندن! لن أسكن معه، ولن أتزوّجه أبداً...

ستتركه بمفرده في منزله وتفتّش عن شقة صغيرة وتحاول أن تجد لها عملاً دائماً. إنّه لا يعني ما يقول بلا شك فجل ما يفعله هو أن يهزأ بها ويستفزّها ويوتّر أعصابها. إنه يمزح فقط ليثير غضبها، يبدو أنه يجد

لذّة في تعذيبها. لماذا إذن لزم الصمت ولم يجاوبها؟

كانت تنظر إلى المباني المتلاصقة وإلى الناس المزدحمين في الشوارع وعلى الأرصفة... ما أبعد هذا المنظر القاتم عن روعة واي فيل في أيام الربيع! نظر إليها جيرار وقال لها: «هذه هي لندن».

أجابته ببرود: أعلم.

هل يعتقد أنني لم آتِ إلى هنا من قبل؟ كانت تنظر إلى الشوارع التي لا نهاية لها وإلى ألوان المنازل الرمادية القاتمة. كان الهواء مشبعاً برائحة البترول وبغبار المعامل.

فكّرت للحظة بهواء واي فيل النقي والمنعش وبجمال البحر هناك، وروعة الطبيعة الخضراء. لقد تركتْ كلّ ذلك وراءها إلى غير رجعة.

تمتم جيرار بهدوء:

ـ سنصل بعد لحظات إلى منزلنا.

تضايقت من استعمال أسلوب الجمع في حديثه:

ـ أين تسكن؟

ـ نحن نسكن في حي يدعى: «هاي غيت» هل سبق أن سمعت به.

ـ لست أكيدة، ولكنه على ما أعتقد في شمالي لندن.

هزّ برأسه علامة التأكيد: هل تذكرين قصة «الولد» الذي أصبح فيما بعد «الورد مايور أوف لندن»؟ لقد سمع رنين الأجراس في قمة «هاي غيت».

فأجابته ساخرة:

ـ هل تحلم أن تصبح مثل لورد مايور؟

ـ أنا محام، ولست تاجراً.

استأثرت كلمة «محام» بانتباهها وخطرت ببالها فكرة جديدة نسألته:

ـ أليس للفضيحة تأثير مباشر فيك كمحام كما هو تأثيرها بالنسبة للطبيب أو بكلام آخر بالنسبة لإيوان؟

لم يتأثر جيرار بسؤالها ولم يعره أي اهتمام، بل ظل يقود السيارة وهو يبتسم. أعادت السؤال:

ـ ولكن ألنْ تؤثر الفضيحة المرتبطة باسمي فيك مهنياً، كما ستؤثر في إيوان؟

قال ببرودة:

ـ لماذا ستؤثر فيّ وكيف؟

وتوجّه إلى أعلى التلة سالكاً طريقاً فرعياً.

ـ لم يثبت عليك ولم يتمّ اتهامك بأية جريمة. لقد كنت شاهدة في جريمة قتل حدثت منذ خمس سنوات. إذا كانت الشهادة في المحكمة جريمة اجتماعية فستصبح محاكمنا فارغة بين عشية وضحاها.

نظرت إليه ستيفاني وهي لا تصدّق ما يقول. كانا قد وصلا إلى أعلى التلة فراحت تتأمل المنازل الكبيرة القائمة منذ عهد الملك ادوارد والتي تحيط بها الحدائق الفسيحة، فعادت وقالت له:

ـ ما دامت قضيتي لن تؤثر في مهنتك وفي حياتك فلماذا تريدها أن تحطّم حياة إيوان كاميرون.

أكمل جيرار طريقه بين المنعطفات حتى وصل أمام أحد المنازل الفخمة فأوقف السيارة وأطفأها ومدّ يديه بهدوء على المقود. نظر إليها بنوع من العطف والحنان:

ـ لست إيوان كاميرون وليس لدي أمّ كأمه... هل خطر ببالك مرة أنها ستدعه يتزوجك إذا عرفتْ بقصتك الغرامية ومعاشرتك لتبو بورغيس؟

غضبت ستيفاني وعلا الاحمرار وجنتيها وهي تصرخ:

ـ لقد أخبرتك إنني لم أكن على علاقة به.

ـ لقد رمته زوجته بالرصاص بسبب هذه العلاقة. هل تعتقدين أن باستطاعتك إقناع السيدة كاميرون ببراءتك؟

ترامت على مقعدها من الوهن وسكتت دون أن تتفوه بكلمة.

حاول أن يفك حزام الأمان الذي تربطه حول خصرها وهو يقول لها: «اخرجي من السيارة».

ـ لماذا تتكلم معي بهذا الأسلوب؟

تذكرت أنه لم يحاول في الماضي أن يتطاول عليها بالكلام بل كان مهذّباً ولطيفاً ومتفهماً.

ترجّل جيرار من السيارة ودار من حولها ليفتح الباب لها ويُنزلها، فانزلقت بسرعة نحو مقعد السائق وحاولت إمساك مفتاح السيارة ولكنه لم يكن هناك. أدارت وجهها فرأته بين أنامل جيرار الذي كان ينظر إليها وسألها وهو يضحك:

ـ هل تفتشين عن أي شيء؟

ثم تركها وذهب.

نظرت إلى المنزل الذي بدا من الخارج بيتاً جميلاً يتناسب مع شخصية محام شهير ولكنه كبير جداً.

فجأة شعرت أنه فتح صندوق السيارة وراح يُخرج أغراضها منها فخرجت بسرعة نحوه لتعيد الأغراض إلى مكانها لكنه أمسكها بيدها ومنعها من ذلك.

أخذت تصرخ عالياً: إنّك تؤذيني! من تعتقد نفسك؟ أعطني مفاتيح سيارتي ولا تلمس أغراضي.

وضع مفتاح السيارة في جيبه وحمل الأغراض وتوجّه إلى مدخل المنزل فتبعته وهي تصرخ غاضبة:

ـ أنا أكلمك. لماذا تحاول أن تتجاهلني؟ أعطني مفاتيح سيارتي، هل تحاول خطفي؟ أريد أن أذهب إلى الفندق.

أرادت أن تضربه ولكنّه لم ينظر إليها بل فتح مدخل المنزل ووضع الحقائب في المدخل. ثم عاد إليها وقبل أن تحاول الصراخ والكلام حملها بسرعة بين ذراعيه ومشى نحو الباب كما يفعل العريس بعروسه عندما يدخلها إلى عتبة منزله. كانت تصرخ:

ـ أنزلني إلى الأرض.

ولكنه دخل إلى المنزل وأوصد الباب فرأت أنها في وسط قاعة استقبال فسيحة أنيقة تتوسط جدرانها الستائر الحريرية المطرّزة وتغلب على زخرفتها الألوان الخضراء والبيضاء.

رماها على أريكة كبيرة في وسط القاعة. تفاجأت وانقطعت أنفاسها فصرخت بوجهه:

ـ كيف تفعل ذلك؟ كيف ترميني هكذا وكأنني لعبة بين يديك؟ كاد رأسي يرتطم بهذه الطاولة!

ـ لقد طلبتِ مني أن أنزلك إلى الأرض.

تركها جيرار وخرج، فراحت ستيفاني تنظر إلى الغرفة... كان فيها بيانو وساعة كبيرة من خشب الماغونيت تتوسط أحد الجدران وسجادة خضراء فسيحة في أرض القاعة. رأت جيرار يضع أغراضها في القاعة المجاورة، ثم عاد إليها وغمرها بين ذراعيه بقوة قبل أن تحاول الكلام.

حاولت أن تعترض: أرجوك! لست...

ولكن لم يعد بإمكانها أن تتكلم لأنه أطبق عليها بقوة. كان رأسها قد انحنى إلى الوراء، والتوى ظهرها بحيث لم يعد باستطاعتها أن تجلس. بدأ الخوف يجتاح قلبها فراحت تقاومه ولكنه كان قوياً جداً

حتى كاد يعصرها بين ذراعيه.

أطلق جيرار لنفسه العنان لذا لم يعد باستطاعتها أن تراقب اندفاعها وتجاوبها معه. لم تعد تقدر حتى أن تفتح عينيها... أوشكت أن تفقد قدرتها على المقاومة فكرياً وجسدياً فحواسها كانت مضطربة ومنشغلة بعناقه العاصف.

حاولت كبح جماح مشاعرها فقالت:

ـ لا، لا، توقّف.

استقام جيرار وكانت يداه ما تزالان متشبثتين بكتفيها فحدّقت إليه وشعرها مبعثر ووجهها يكاد يحترق من الوهج.

قال لها وعلامات الرضى بادية على وجهه:

ـ تبدين رائعة... طالما أردت أن أعلم ماذا سيكون شعورك لو عانقتك كما فعلت الآن ولكنني سابقاً خفت أن أجرّب ذلك.

شعرت ستيفاني فجأة بخوف حقيقيّ. لم تكن حتى الآن قد حملت تصرّفه معها على محمل الجدّ. ظنّت أنّه يمزح معها وأنه سيأخذها إلى الفندق ولم يبدُ لها معقولاً أنّه يعني ما يقول. ولكنّ هذا العناق الذي بدا غير نادم عليه قد غير كل شيء. نظرت إلى عينيه لتعرف أي نوع من الرجال هو؟ راحت تتمتم بغضب: لماذا؟

فقاطعها قائلاً: لماذا؟ أنتِ تعنين بالتأكيد لماذا أريدك؟ أليس كذلك؟ إنه سؤال سخيف.

أغمضت عينيها وهي ترتجف: حتى لو كنتُ لا أريدك؟

وضع يده عليها بقسوة وهو يقول:

ـ منذ خمس سنوات وقعت بالغرام وأنا واهمٌ. ربما ساعدتك لتجعلي مني رجلاً مجنوناً، فخدعتُ نفسي وأردت أن تكوني لي حلماً جميلاً.. وها أنت تتابعين استغلالي يا ستيفاني.

ـ لا! جيرار، أرجوك صدقني.. أنا لم أفعل شيئاً.

ـ أنت وبورغيس.

قال ذلك وكأنه يكره أن يتلفظ بهذا الاسم.

ـ لم يكن بيني وبين تيو أية علاقة.

ـ هل تريدين مني أن أصدق ذلك؟ رددي ما تقولين... أنت تدعينه تيو، إنّه رب عملك وهو في عمر والدك وأنت تنادينه باسمه الأول، تيو. لا تقولي لي إنّ كلّ الناس يفعلون ذلك، فأنا لم أسمعك قطّ تنادينه أمام الناس هكذا، بل كنت تقولين: السيد بورغيس. كنت ازدواجية في تصرّفك لأنك لم تريدي أن تلفتي الانتباه إليك ولكنك كنت تعرفينه بشكل حميم أليس كذلك؟

ضربت على رأسها وهي ترتدّ:

ـ لم يلمسني قط ولم يعانقني قط، لم يكن بيننا شيء أبداً. وكلّ الذي قيل كان كذباً.

ـ إذن لماذا رمته زوجته بالرصاص؟

ـ تعرف أنها امرأة مصابة بانفصام الشخصية.. آنذاك كانت تمرّ بنوبة عصبية ووقف تيو في طريقها نصبّت جام غضبها عليه وألّفت هذه القصة عني وعنه لكي تكون عذراً لتقتله، ولكي ترأف بها المحكمة فتخفّف العقوبة عنها.

نظر إليها جيرار فرآها شاحبة باردة ترتجف. ترك كتفيها وسار:

ـ أنتِ بحاجة إلى القهوة.

نظرت ستيفاني إليه بحسرة لأنه لم يصدّقها.

رجعت ببطء وجلست على الأريكة فتراءت أمام مخيلتها فيولا يورغيس وهي تزمجر من الغضب والغيرة. لو أخبرت جيرار أن فيولا كانت غيورة عليه لا على زوجها لما صدقها.. وها هي تحاول عبثاً أن

تقنعه ببراءتها وبعدم وجود أية علاقة بينها وبين تيو.

يبدو أنّ ما لفّقته فيولا من الكذب والتمثيل قد أقنعه بصورة مطلقة.

عاد جيرار وجلس على الأريكة قربها وأعطاها كوباً من العصير فأدارت وجهها وقالت له:

ـ أنت تُخيفني.

شعرت ستيفاني قبل لحظات، عندما عانقها جيرار بشراسةٍ وعنفٍ شبيه بعنف فيولا عندما صبت نيران غضبها عليها ورفستها ثم صوّبت البندقية عليها لتتخلّص منها، أنّها وحيدة مع رجل لا تعرف مشاعره الحقيقية كما كانت مشاعر فيولا.

ـ إنني أقدّم لك كوباً من العصير، فلماذا الخوف منه؟

ـ تعلم أنني لا أعني ذلك، توقف عن لعب الأدوار معي.

ـ ابقي هنا ريثما أجلب أغراضك إلى الطابق العلوي.

ـ لن أبقى هنا.

ـ ستتكلم بهذا الموضوع على العشاء، فأنا جائع كثيراً. ألست جائعة؟

ـ يمكننا أن نتعشى خارجاً.

قال بسخرية: خارجاً؟ أعتقد أن من الأفضل أن نتناول طعامنا هنا... لا شك أنّك متعبة بعد هذه الرحلة الطويلة. لماذا لا تصعدين إلى غرفتك وتتمددين؟

تناولت ستيفاني كوب القهوة وقذفته على وجهه وثيابه.

ظنت لأول وهلة أنه سيهجم عليها ويضربها لكنه تناول بسرعة منشفة وراح يجفّف ثيابه من دون أن يتكلّم.

ـ سأصعد الآن لأبدّل ثيابي. من الأفضل أن تصعدي معي لأنني لن أتركك بمفردك هنا، فلا أدري ما قد تفعلين. هل ستصعدين أم أحملك

إلى فوق حملاً؟

صعدت معه ستيفاني من دون أن تعارضه فحمل أغراضها التي وضعها في الغرفة وسألها:

ـ أتروقك الغرفة؟

راحت تتأمل الغرفة بسرور. كانت مفروشة على طراز حديث ذا ألوان وردية.

ـ إنّها رائعة! أحب هندسة منزلك وزخرفته. هل استعنت بمهندس ليزخرف لك هذا المنزل؟

ـ كلا! والدتي هي التي قامت شخصياً بكل شيء، فهي مسؤولة عن كل ذلك.

تعجّبت ستيفاني ونظرت من النافذة فرأت أمامها حديقة فسيحة رائعة مليئة بالأشجار المثمرة والزهور المتنوعة والممرات الخضراء فلم تصدّق أنها في لندن، بل خُيّل إليها أنها في أحضان الطبيعة الجميلة. التفتت إلى جيرار وقالت له:

ـ أمك مسؤولة أيضاً عن وجودي هنا لأنها أطلعتك على رسالة السيدة كامبرون. لماذا فعلت ذلك؟ أين هي؟ أين تعيش؟ ماذا ستفعل إذا جاءت إلى هنا ووجدتني معك؟

ـ يعيش والدي ووالدتي في «أسكس» في «مالدون».

كان جيرار يتكلم وقد بدأ ينزع ثيابه عنه.

نظرت إليه ستيفاني بتعجّب وقالت له:

ـ ماذا تفعل؟

ـ أنزع ثيابي... أرجو أن تعذريني فأنا لا أثق بك.

تساءلت ماذا يريد أن يفعل الآن وعندما أدركت ذلك كان قد أقفل عليها الباب بالمفتاح. إنّها وحيدة ولكنّها أسيرة... وكضت نحو

الباب وراحت تصرخ:

ـ جيرار، دعني أخرج، هل تسمعني، دعني أخرج أرجوك.

ـ بكل تأكيد أنا أسمعك... لا تقومي بحركات هستيرية... استحمي وحاولي أن تستريحي! سأستحم أنا بدوري وأحضّر لك الطعام.

سمعت وقع قدميه تبتعد. وقفت قرب الباب تسترق السمع لتعرف إذا دخل إلى غرفة أخرى أم يحاول أن يلعب دوراً مضحكاً، لأنّها شعرت من حركات وتعابير وجهه أنه يهزأ منها.

أقفلت ستيفاني الباب بالمزلاج وراحت تتأمل الغرفة من جديد. إنّها غرفة نوم رائعة: جدرانها موشاة بالورق الوردي الناعم، وستائرها من المخمل الأخضر الجذّاب، والسرير من الخشب الثمين الذي يغطيه حرام قطني موشّى بالتطريز وفي الزاوية خزانة خشبية ثمينة، في أرض الغرفة سجادة ناعمة وردية اللون. فتحت ستيفاني باب الحمام فعبقت منه رائحة عطرية طريّة. كانت جدرانه من البلاط الوردي المرقّط تتوسّطها من الجانبين مرآتان كبيرتان تعكسان الصور والألوان وفي أحد الزوايا خزانة صغيرة للتواليت، نظرت إلى داخلها فتملّكها العجب إذ كانت ملأى بمستحضرات التجميل النسائية الثمينة وبالعطور الباهظة الثمن. هزّت برأسها وتساءلت: كم من النساء استعملنَ هذه المستحضرات المتعدّدة؟

نزعت ثيابها عنها وجلست في وسط المغطس تحاول أن تستعيد شيئاً من حيويّتها ونضارتها التي فقدتها بسبب الكابوس الذي تعيش فيه منذ أربع وعشرين ساعة.

نظرت إلى المرآة الكبيرة المركّزة أمامها على الجدار المقابل فرأت أنّها قد تغيّرت كثيراً منذ تعرفت إلى جيرار قبل خمس سنوات. كانت

فتاة يافعة نضرة وكان هو أيضاً ذلك الشاب الذي طالما حلمت به: فاتناً، ساحراً، مُثيراً، مثقفاً ورجلاً اجتماعياً يُلفت الأنظار. كانت قد وقعت في حبّه. لماذا تحاول نكران ذلك؟ ربما لم تعرف آنذاك ما هو الحب الحقيقي لأنها لم تكن ناضجة ولأنّ المشاعر الصاخبة التي كانت تعصف بها آنذاك ليست سوى مرحلة عاطفية عابرة من مراحل المراهقة. ولكنها كانت متأكدة آنذاك أنها تميل إليه وتتشوّق إلى رؤيته وتنجذب إلى كلامه وحضوره وتنتظر بفارغ الصبر الانفراد به. كان حبّها الأول وربما أحبها هو أيضاً عن حق، فهو لم يكن كاذباً عندما قال إنّه كان يعاملها بعناية خاصة. أما الآن فقد تبدلتْ كل الأوضاع. يومذاك كانت تشعر بالراحة... لم تشعر البتة بالخوف منه، أما الآن فهي تود لو يثوب إلى رشده. لا تدري ماذا تفعل إن حاول معانقتها ثانية. في الماضي كان يعانقها برقة وحنان. هل أحبّها فعلاً كما يقول؟ ألهذا السبب كان ينظر إليها في المحاكمة بصمت ووجوم، هل صدمته؟

لم يكن جيرار يوماً إنساناً مؤذياً... ربما كانت الفكرة الخاطئة التي اقتنع بها بسبب ادعاءات فيولا الكاذبة هي التي تدفعه إلى أن يتصرف معها على هذا الشكل الهجومي. إنها تتمنى فقط لو كان باستطاعتها أن تقنعه أن فكرته عنها خاطئة وأن اتهامه لها بالعلاقة مع تيو لا وجود لها إلاّ في مخيّلته.

انتهت ستيفاني من الاستحمام وعادت إلى الغرفة لترتدي ثيابها وترتّب هندامها عندما سمعت جيرار يحاول فتح الباب المقفل.

- أنا بانتظارك، الطعام حاضر.

- سأكون جاهزة بعد خمس دقائق.

- حسناً! لكن لا تتأخري لأنني جائع.

عندما نزل جيرار حاولت أن تجد بعض الثياب البسيطة والناعمة

لترتديها. فكّرت أن تتعامل معه بلطف ونعومة فلعل ذلك يساعدها على تغيير عدائيته تجاهها وطريقة معاملته. المهمّ أن تحافظ على برودة أعصابها وعلى ثقتها بنفسها.

نزلت إلى الأسفل فوجدته جالساً ينتظرها في مطبخ واسع مشمس يطلّ على الحديقة الخضراء الرائعة. أخذ يتفحّصها بإعجاب وهو يقوّس حاجبيه.

- ها أنت أخيراً هنا! اخدمي نفسكِ. لقد حضرت لك بعض الروستو والسلطة أرجو أن تعجبك.

- أرى أنّ هذا المنزل كبير جداً بالنسبة لشاب عازب.

- أجل، أجل إنه بالفعل كبير.

- لماذا اشتريته إذاً؟

- أنا لم أشتره، لقد ورثته عن عمي جورج عندما كان أعزب. لقد ولد في هذا المنزل ومات فيه أيضاً. كان عمي دقيقاً جداً في حياته. ترك لي المنزل تحت شروط حاسمة: أولاً أن أكون أعزب في ذلك الوقت أي في تاريخ موته، وألا أتزوج إلاّ بعد مرور عشر سنين على وفاته.

- هذه شروط عجيبة.

- أجل لكن عمي لم يكن غبياً لأنه فكّر ملياً في الأمر قبل وضع الشروط التي تتناسب مع مصلحتي: فعندما مات كنت أعزب وكنت وقتذاك في الخامسة عشرة من عمري فلم يشأ أن أتزوج قبل عشر سنوات حتى أكون قد كبرت واختبرت الحياة. أعتقد أنه مرّ على وفاته أكثر من عشر سنوات.

ضحكت ستيفاني: كان عمك على ما يبدو رجلاً ذكياً ومرحاً.

نهض جيرار عن الكرسي، وقبّل أنفها فتوردت وجنتاها ولم تعرف ماذا تقول. فجأة سمعا جرس المنزل يرنّ بقوة، فقال جيرار:

ـ من الذي يطرق الباب بحق الجحيم؟ سأنزل لأرى من الطارق؟

ابتسمت بعد ذهابه وكأنها شعرت أنهما لم يعودا عدوين فقد ابتسم لها وهما على المائدة وقبلها على أنفها بطريقته العفوية القديمة فكادت تنسى بلحظة كل ما قد فعله معها حتى الآن.

ثم سمعت فجأة صوت جيرار ينادي:

ـ جوليا! ما الذي حملك إلى هنا بحق الله؟

ـ لا تقف أمامي كالأحمق، جيري؟ ألا ترى أنني مرهقة؟ خذ هذه الحقيبة وضعها في الداخل! هل أنت بمفردك؟

ـ طبعاً أنا بمفردي... أراك تنظرين إلى الأشياء بشكل مزدوج اليوم؟

ـ قف جانباً وتنحّ عن طريقي، لماذا تحدّق إليّ هكذا؟ لقد أتيت لتناول طعام العشاء، لا تهتم لذلك سأحضّر الطعام بنفسي.

سمعت ستيفاني الصوت يقترب من المطبخ فارتبكتْ وتساءلت ماذا ستفعل؟ هل تبقى في مكانها أم تختبىء؟

سمعت جيرار يقول لها:

ـ إذا كنت متعبة جوليا فاجلسي واستريحي في غرفة الجلوس ريثما أجلب لك سندويشاً.

ـ لا أريد أي نوع من السندويش، بل أريد أن أعدّ الطعام بنفسي لأتذوق ما سآكل.

فجأة انفتح باب المطبخ وأطلتْ منه امرأة طويلة أنيقة اقتربت منها وهي تمعن فيها النظر.

قالت لجيرار: أوه! لقد حزرت الآن سبب ارتباكك، لديك رفيقة؟

هبّت ستيفاني واقفة ظناً منها أن هذه السيدة هي إحدى صديقاته. لاحظت أنها ترتدي ثياباً أنيقة باهظة الثمن، شعرها أشقر فضي عقصته

إلى الوراء، طويلة القائمة جسمها مكتنز، من النوع الذي يجذبك منذ النظرة الأولى.

قال جيرار وقد بدا عليه الارتباك:

ـ جوليا، أقدم لك الآنسة ستيفاني ستيوارت. ستيفاني، هذه ابنة عمي جوليا.

اقتربت جوليا منها ومدّت يدها لتصافحها:

ـ كيف حالك؟ إذن أنت هي ستيفاني؟

نظر جيرار وستيفاني إليها بتعجّب وكانت هي بدورها تنظر إليهما وتبتسم بصورة مبهمة.

ـ أنتما تتساءلان بلا شك عما دفعني للحضور إلى هنا؟

أجابها جيرار:

ـ ماذا تعنين بكلامك هذا؟

تظاهرت جوليا بعدم الاكتراث وجلست إلى مائدة الطعام: أرى أنك قد حضّرت طعاماً شهياً.

راحت تسكب في صحنها بعضاً من السلطة والطعام ثم سكب لها جيرار كأساً من المرطبات وسألها:

ـ لماذا أتيت إلى هنا بحق الله؟ أنا متأكد أن هناك سبباً وراء قدومك المفاجىء. بدأ ينفد صبري، تكلمي!

ـ اتصلتْ والدتك بي هاتفياً منذ ساعة تقريباً لأنها تلقّت اتصالاً هاتفياً مُقلقاً من شخص يُدعى روبرت ستيوارت.

ارتبكت ستيفاني واصفرّ وجهها.

نظرت إليها جوليا وهي تبتسم: إنه أخوك على ما يبدو.

فسارع جيرار يجيبها:

ـ ماذا يريد من والدتي؟

www.rewity.com

ضحكت جوليا وقالت له:

- يريد عنوانك يا عزيزي جيري. اتصلتْ والدتك عدة مرات لتكلّمك على الهاتف، فلم يجبها أحد. لذلك اتصلت بي وطلبت إليّ أن أتوجه فوراً إلى المنزل لأرى إذا رجعت إلى لندن. كانت قلقة كثيراً لأنّ روبرت ستيوارت كلمها وهو يهدّد ويتوعد، فخافت وقد فهمت من كلامه أنه عازم على قتلك. يعتقد أنّك خطفت شقيقته وحملتها بعيداً معك، واعتبر تصرّفك منافياً للمنطق والقانون. لماذا فعلت ذلك يا جيري؟

* * *

٦ - الحب غلطة

اصفرّ وجه ستيفاني وارتجفت قدماها وراحت تردّد بخوف:

- لن أمكث هنا دقيقة أخرى... ماذا سيحصل إن جاء روبرت إلى لندن بحثاً عني؟ ستكون كارثة إذا وجدني عندك هنا في منزلك.

ترك جيرار ذراعيها وهو يقول لها:

- لا تخافي! من الطبيعي أن تقابليه عاجلاً أم آجلاً. اشرحي له عندما يأتي لماذا أتيتِ؟ وعندئذ سيأخذ بعين الاعتبار قرارك.

نظرت إليه متسائلة:

- لست ماهرة أبداً في الشرح والتعليل، فأنت مثلاً لم تصدّق كلمة من كل الذي قلته لك. لماذا تريد من روبرت أن يصدّقني؟

- إنه أخوك، ولأنك تخبرينه الحقيقة سيعرف أنك صادقة.

- لم أكذب عليك قطّ ومع ذلك لم تصدقني.

- أحقاً لم تكذبي عليّ؟

كانت جوليا جالسة إلى المائدة تتناول طعامها وهي تستمع إليهما بفضول واستفهام...

- كفى، لا أريد بعد الآن أي استجواب منك!

- حسناً توقفي أنت أيضاً عن النقاش.

- لماذا أنت مثير للغضب هكذا؟

فقاطعتها جوليا:

- هكذا كان طوال عمره.

نظر إليها جيرار ببرودة وقال لها:

- جوليا أرجوك لا تزجي أنفك بما لا يعنيك، فأنا بغنى عن ملاحظاتك. لا أذكر أنني دعوتك لتناول العشاء، والآن بعدما تناولتِ معظم الطعام، أرجو منك أن تدعينا بسلام.

- يا عزيزي جيرار، يبدو أنني باقية هنا لأنني لا أريد أن أفوّت هذا المشهد المثير. سأبقى لأراقب عن كثب نهاية هذه المشكلة.

- إذن أنت ستبقين هنا لتعرفي ماذا سيحدث؟ طالما كنتِ فتاة متطفلة.

أجابته جوليا:

- متطفلة!! أرجو أن تضبط لسانك لأنني لست متطفلة.

هزّ جيرار رأسه وهو يتساءل:

- أنا لا أدري كيف استطاع روبرت أن يكتشف بهذه السرعة قضية أخته.

نظرت جوليا إليها وهي تبتسم:

- ذلك بسيط جداً. اتصل بالفندق ليسأل عن ستيفاني فقالوا له إنها خرجت باكراً برفقة نزيل في الفندق يدعى جيرار تينيل.

نظرت إلى ابن عمها وفي عينيها بريق ثم تابعت وهي تهزأ به.

- أتصوّر منذ الآن عنواناً كبيراً يتصدّر صفحات الجرائد: «اعتقال محام شهير بسبب محاولة اختطاف».

فقاطعها جيرار: اصمتي يا جوليا.

قالت ستيفاني:

- أستغرب كيف اتصل روبرت بالفندق فوراً، فلم أتوقع أن يكتشف غيابي بهذه السرعة، إذ لا يمكنه استلام رسائلي قبل ساعات.

لقد وضعت الرسالة في صندوق البريد الساعة التاسعة.

أجابتها جوليا:

- إذا كان البريد محلياً يصل إلى صاحبه ظهراً.

- ربما أنت على حق.

شعرت بالراحة بسبب وجودها فسألتها:

- أتستطيعين أن تدبّري لي غرفة في أحد الفنادق لبضعة أيام؟

قاطعها جيرار: لن تذهبي من هنا...

فقاطعته جوليا:

- لدي غرفة صغيرة في شقتي. استعمليها إذا شئتِ!

زمجر جيرار:

- لا، لا إنها بالأحرى علبة لا غرفة.

أمسك جيرار جوليا بذراعها وهو يقول لها:

- هل تسمعينني جيداً؟ لن ترحل ستيفاني من هنا، فأنتِ بمحاولتك هذه تعقّدين الأمور.

حاولت جوليا تجاهل غضب جيرار في محاولة منها لاستفزازه من جديد.

- إذن يا عزيزي جيرار ما هو المخرج المناسب لهذه المشكلة؟

أجابتها ستيفاني فوراً:

- ليس هناك إلاّ حلّ واحد وأنا أشكرك عليه، وسأكون ممتنة لك إذا كنت موافقة أن أبيت هذه الليلة عندك.

فبادرها جيرار: أنسيت لماذا جئت معي إلى منزلي؟ أعتقد أن الشرط بيننا ما يزال قائماً.

- لا، لا أظنك تفعل ذلك!

فقاطعتهما جوليا:

ـ لا أفهم ماذا تقولين له . . . لقد اختلط الأمر عليّ!

فقال جيرار:

ـ أنا لا أغشّ في اللعب.

أجابته جوليا: أنت كاذب كبير، لأنك تغشّ دوماً بالورق.

ـ بحقّ الله جوليا لماذا لا تلزمين الصمت؟

نظرت ستيفاني إلى جوليا وهي تسألها بارتياك:

ـ أهو غشّاش فعلاً؟

ـ أجل هو كذلك.

ـ أريد أن تفهمي للمرة الأخيرة أنني لن أسمح لستيفاني بالذهاب معك . . . ارحلي الآن!

ـ لا، لن أذهب. أعتقد أنّ ستيفاني بحاجة إلى مساندة نسائية في هذا المنزل الذي يملكه رجل متسلط.

غضب جيرار من إلحاحها حتى رغب أن يصيح لإبعادها، فقال لها:

ـ مع الأسف يا جوليا، لا غرف صالحة وجاهزة للاستعمال.

ـ لديك في هذا المنزل ست غرف فارغة لا يشغلها أحد.

ـ ثمة أربع غرف مقفلة منذ سنوات فرشاتها رطبة غير صالحة للنوم.

ـ لا تقلق عليّ فلن يؤذيني قليل من الرطوبة.

ـ ولكنك لم تجلبي معك ثياباً للنوم، لماذا لا تعودين إلى المنزل؟

قاطعته ستيفاني: «فلتستعر بعض ثيابي».

ـ شكراً لا مانع عندي! سأصعد إلى الطابق العلوي لأختار غرفة.

فقال لها جيرار:

ـ يجب أن تكوني حريصة فقد تصابين بالتهاب في الرئتين إذا نمتِ

على فراش رطب.

نظرت إليه وهي تضحك: «لا تقلق علي! سأجفف الفراش بواسطة الكهرباء إذا كان رطباً».

تركتهما وصعدت إلى فوق.

أرادت ستيفاني أن تلحق بها، ولكن جيرار كان أسرع منها فأقفل باب المطبخ بسرعة وهو يقول:

ـ لا أريد أن تبقى جوليا هنا، أقنعيها بالرحيل.

أثرت نظراته الملحّة في قلبها. قال بصوت رقيق خافت وحميم: «ستيفاني!» كانت العصبيّة والغضب قد اختفيا عن ملامح وجهه، فرأت من جديد في عينيه الرماديتين تلك النظرات الحميمة السابقة. يبدو أنّه قد غيّر تصرّفه ولهجته معها. ماذا يخطّط الآن؟ إنّها لا تثق به، ولكنّها لا تستطيع أن تنسى النظرة الحنون التي أطلت من عينيه؟ إنها شبيهة بتلك النظرات التي أغدقها عليها منذ خمس سنوات، يوم كانت في ربيعها الثامن عشر.

سألها جيرار وهو بغاية الحرج:

ـ كيف سنتعرّف إلى بعضنا بعضاً إن لم ننفرد؟

حاول أن يضع يده على عنقها، فشعرت برعشة سحرية تسري في عروقها.

ـ ليس هذا هو الموضوع، فأنت تريد . . .

وضع يده على فمها خشية أن تسمعها جوليا. قال بأسلوبه الساخر: ماذا أريد؟

ـ أعرف ماذا تريد ولا حاجة إلى ذكره.

أمسكها بيديها خشية أن تحاول الهرب منه.

ـ ستيفاني انظري إليّ . .

نظرت إليه باحتراز فرأت نظراته العميقة تحاول أن تستكشف خفايا أفكارها.

سألها: هل تحبين إيوان كاميرون؟

ارتبكت وظلّت صامتة.

عاد وسألها بإلحاح: هل تحبينه؟ تكلمي!

ـ لا أدري، لم يكن لدي الوقت الكافي لأكتشف ذلك. ربما وددت أن أحبّه ولكنني أعزّه أكثر من أي شخص آخر... علاقتنا جيدة وإيوان من النوع الذي تتمنى وتحلم الفتيات بالزواج به، فهو شاب لطيف ومتفهم و...

قاطعها جيرار: وهو أيضاً زوج مناسب لأنه ثري.

قال جملته بسخرية ثم أردف: منذ متى تعرفينه؟

ـ منذ سنتين، ولكننا نتقابل منذ سنة تقريباً.

ـ إذن لم تحبّيه من النظرة الأولى.

ـ لا أؤمن بالحب من النظرة الأولى.

نظر جيرار إليها بتمعن، فشعرت أن قلبها يحترق بعمق.

في صوتها صدى من الحزن الغريب ونوع من الأسف العميق، وكأنها ندمت لأنها قالت له إنها لا تؤمن بالحب من النظرة الأولى. ألم تقع بغرامه من النظرة الأولى؟ ولكن ذلك يبدو لها الآن ضرباً من الوهم. لهذا السبب استراحت كثيراً إلى طريقة إيوان في التقرب منها بحذر، فلم يحاول قط التحرش بها، لذا وثقت به وهو إلى ذلك شاب هادىء واع ولهذا كانت متأكدة أنه لن يعرض عليها الزواج إلا إذا كان مقتنعاً أنها الزوجة المناسبة له.

عاد جيرار فسألها بلطف:

ـ هل أحببتِ أحداً حتى الآن؟

أحست ستيفاني بقشعريرة من البرودة وهي تنظر إلى عينيه الرماديتين. فهي تخاف من جاذبيتهما العميقة الغامضة وتشعر أنّ في شخصية جيرار قوة مميزة لا تستطيع وصفها وطاقة سحرية تشعر بها من دون أن تلامسه. تخشى أن تعود إليه فتخضع لجاذبيته الغامضة، لن تسمح بذلك.

أغمضت عينيها لئلا ترى ذلك السحر العجيب في نظراته، وقالت له:

ـ لا، أبداً.

قال: «هل تقولين أبداً؟».

قال جملته وفي نبرة صوته نوع من التحدي فأدركت أنه كان يفكر بنفسه وأراد أن يستكشف منها إذا وقعت في حبه.

فتحت عينيها في محاولة منها لاستدراك ما قالت:

ـ أجل لقد أحببت مرة أو مرتين وفي كلتا المرتين كانت غلطة.

أجابها بانفعال:

ـ ليتني أعرف ما أفعل بك! إنك مراوغة كهرة في وسط الظلام. فكلما اعتقدت أن باستطاعتي أن أراك على حقيقتك وحاولت أن أصل إليك، تتملصين وتنسلين من بين يدي.

سمع فجأة وقع قدمي جوليا التي كانت تنزل الدرج، فجلس قرب المائدة. أما ستيفاني فكانت مضطربة بسبب الأسئلة المحرجة التي طرحها عليها جيرار. فُتح الباب ودخلت جوليا وهي تبتسم:

ـ لقد فتحت الغرف ليدخل إليها الهواء. اخترت الغرفة المجاورة لغرفتك ستيفاني فإذا شعرت ليلاً بأي كابوس فاهرعي إلى غرفتي.

ـ سأفعل. شكراً.

ـ كم من الوقت ستمكثين في لندن ستيفاني؟

ـ أفكر في البحث عن وظيفة.

ـ أي نوع من الوظيفة تريدين؟

أجابها جيرار:

ـ عرضت لتوّي عليك وظيفة.

قالت له جوليا:

ـ في مكتبك؟

ـ أجل، موظفة استقبال لأن الموظفة الحالية ذاهبة... يمكنها أن تتدرب على يد الموظفة قبل أن تترك العمل.

سألت ستيفاني جوليا: ماذا تعملين؟

ـ ليس لدي عمل كثير، ولكن عندما أريد أن أدخل في مشروع أعمل بشكل مضاعف.

ثم توجهت نحو الخزانة: «أشعر أنني بحاجة إلى بعض القهوة. هل تريدين قهوة ستيفاني؟»

استبقها جيرار وقال:

ـ تصرفي بحرية تامة واعتبري أنك في منزلك.

وأقفل الباب وتركهما... عندما حضّرت جوليا القهوة وقالت لستيفاني:

ـ عزيزتي ستيفاني... أعتقد أننا في وضع مضطرب. ليس هناك أزعج من رجل محبط.

أجابتها ستيفاني:

ـ أشكرك لمساعدتي في هذه المشكلة التي أنا فيها. مسرورة بوجودك قربي.

ـ ولكن هل لي أن أعرف ماذا يحدث هنا؟ أم لعله سرٌّ قاتل؟

ترددت ستيفاني بالجواب، لأنها وجدت صعوبة في التكلم عن

أحداث الماضي.

ـ لستِ مضطرة إلى إخباري فلا أريد أن أسبّب لك الحرج. ولكنني كتومة ومتحفظة.

سألتها جوليا:

ـ هل أنت مقرّبة من جيرار؟ لم يتكلم قطُّ عنك. نحن بالأحرى أخ وشقيقته. فأمي وأمه توأمتان وهما متعلّقتان ببعضهما بعضاً وهما إلى ذلك متشابهتان كل التشابه. لقد نشأنا وترعرعنا معاً ولكنه أكبر مني سناً كما تلاحظين.

فأجابتها ستيفاني وهي تمزح:

ـ بالتأكيد لاحظت ذلك.

أضافت جوليا:

ـ طالما لعبنا معاً. كان دائماً يدفعني بقوة وأنا جالسة في عربتي الصغيرة، وحاول أن يوقعني من الأرجوحة مرة لذا حرصت أمي على مراقبته.

فجأة رنّ الجرس بعنف، فارتجفت ستيفاني واصفرّ وجهها... انه روبرت!

قالت لها جوليا:

ـ لقد ذكرتْ خالتي لويز إنه قادم من غرب البلاد. أيعقل أن يصل بهذه السرعة؟

نظرت إلى ساعتها ورددت دهشة: بحق الله إنني هنا منذ ساعتين. ربّما هو في الباب.

رددت ستيفاني وهي مضطربة:

ـ إنّه هو بالتأكيد.

لم تدر كيف ستواجهه أو ماذا تقول له.

www.rewity.com/vb
رويتي

اقترحت جوليا ألا تفتح الباب وفيما كانتا تناقشان الموضوع سمعتا حركة قوية في القاعة... كان جيرار قد فتح الباب الرئيسي، وقالت لها جوليا:

- لقد تأخرنا ولكنني أتمنى لو أعرف ماذا يجري؟

اهتزت أقدامهما عندما سمعتا صوت روبرت يصرخ بقوة.

- يا ابن الكلبة!

تبعه دوي وتحطم شيء ما.

ارتجفت ستيفاني من الخوف وتساءلت عما يحدث خارجاً.

فأجابتها جوليا: «أعتقد أن إناء الفخار الذي وضع فيه جيرار الشتلة الصينية في مدخل المنزل تحطم».

لم يكن باستطاعتهما أن تميزا ماذا يدور بين جيرار وروبرت، لأن روبرت كان يصرخ مهدداً، ولكنهما سمعتا جيرار يقول لروبرت:

- إن أردت إعلام رجال الأمن فتناول الهاتف واتصل بهم.

- لا تحاول أن تكذب عليّ! لا يمكن لشقيقتي أن تختفي بهذه السرعة من دون أن تكلمني، لولا تعرضها لما هو مريب لما اختفت هكذا.

تقدمت ستيفاني من باب المطبخ وفتحته إذ لم تستطع التواري وروبرت يكاد يحطم المنزل. وجدت أخاها أمامها وعيناه تقدحان شرراً وهو ينظر إلى جيرار ثم التفت إليها وسألها:

- ستيفاني! هل أنت بخير؟

- أجل، أنا على ما يرام.

ودنت منه أما جوليا فظلت واقفة خلفها قرب الباب تراقب ما يجري. كانت تنظر إلى روبرت وإلى علامات الغضب في عينيه ولكنها لاحظت بعض الراحة فيهما عندما رأى امرأة أخرى في المنزل، فهدأ

روعه قليلاً.

قال جيرار:

- فلندخل إلى قاعة الاستقبال!

نظر إليه روبرت وقال بصوت حاد: «أريد أن أكلّم شقيقتي على انفراد».

نظرت ستيفاني إلى جيرار وقالت له:

- أرجوك! اتركني مع أخي بضع دقائق.

تردّد جيرار ثم عاد فخرج وتركهما بمفردهما. جلس روبرت في الصالة الأنيقة قرب شقيقته وقال لها مستفسراً:

- ستيفاني، ماذا يجري بحق الله؟

سحبت نفساً عميقاً وهي لا تدري من أين تبدأ.

- روبرت فلنجلس لأنني أشعر بالتعب.

سألته: هل استلمتَ رسالتي روبرت؟

- لا، لم أستلم رسالة.

- وضعت لك رسالة في البريد صباحاً وأنا في طريقي إلى هنا، كيف اتصلت إذن بالفندق ما دمت لم تستلم رسالتي؟

- لقد طلب مني إيوان أن أخبرك أنه مضطر للسفر حالاً إلى ماليزيا لبضعة أيام لإجراء عملية في القلب لأحد المسؤولين. حاول أن يتصل بك مراراً في الفندق فلم يجدك. عندما قالوا له إنك غير موجودة اتصل بالمنزل الذي كان فارغاً أيضاً، فطلب مني أن أقول لك إنه لم يعد باستطاعته المحافظة على موعده المقرّر معك. أرى أنك أنت أيضاً قرّرت عدم المجيء إلى هذا الموعد.

أحنت ستيفاني رأسها وعلا وجهها الاصفرار: «تركتُ له رسالة...».

أجابها روبرت بمرارة: «أجل! أجل أعتقد أنه سيتسلم رسالتك بعد عودته وسيجد شيئاً لافتاً فيها... أليس كذلك؟»

ترقرقت الدموع في عينيها وقالت له:

- أنا آسفة جداً.

- آسفة! اختفيت من دون أن تقولي كلمة واحدة مع رجل لم يره أحدٌ قبل ليلة السبت ثم تقولين: أنا آسفة؟ هل لي أن أسألك عن سبب ذهابك مع ابن الساقطة هذا؟ يا إلهي! إنّه سريع! قابلته لمدة دقيقتين فإذا به يتوصل إلى إقناعك بالذهاب معه بعيداً.

نظر إليها وتابع بصوت حاد: «لا تقولي لي إنك مغرمة به! لا يمكن أن يحدث ذلك بهذه السرعة، هذا غير معقول».

فتمتمت بصوت خافت: «سبق أن قابلته».

سألها روبرت: «ماذا تقولين؟»

- أجل. سبق أن قابلته.

- لكن متى؟ وأين؟

- منذ خمس سنوات.

- هل قلت خمس سنوات؟ إذن قابلته في أوستراليا؟

أومأت ستيفاني برأسها علامة الإيجاب.

اقترب روبرت منها ووضع يده بلطف على رأسها وقال لها:

- ما كلّ هذا يا ستيفاني؟

أجهشت بالبكاء وأخفت عينيها بيديها.

- لا بأس ستيفاني، خفّفي عنك! لا تبكي يا صغيرتي. أخبريني ماذا أصابك؟

وضعت رأسها على كتفه ومسحت الدموع عن عينيها فسألها روبرت:

- هل هدّدك ابن الساقطة ذاك؟

راحت تنظر إلى أخيها وهي مرتبكة، فردّد بغضب: إذن هددك.

- كيف حزرت؟

- هل تعتقدين أنني غبي؟

ضحكت وكانت شفتاها ترتجفان: «لا روبرت لم أقصد ذلك ولكنه لم يحاول ابتزازي من أجل الدراهم».

- ماذا تعنين بحق الله؟ لماذا حاول ابتزازك؟

نظرت إلى الأرض وتوردت وجنتاها.

- يا إلهي سأقتله وأحطم رأسه! يدّعي أنه محام ويحاول تهديدك وإجبارك على المجيء معه إلى منزله.

توقّف فجأة وهو ينظر إليها بقلق وسألها:

- ستيفي! ألم تفعلي؟

نظرت إليه بوجوم:

- لم أفعل ماذا؟

حاول روبرت أن يشرح لها ذلك بواسطة الإيماء.

نظرت ستيفاني إليه بانتباه لاستكشاف ما يعني، وعندما أدركت ما يريد أن يستفسر عنه، قالت له: لا، لم يحدث شيء من هذا. أتظنني غبية بحيث أقبل بشيء كهذا؟

- كيف سمحت له باصطحابك إلى هنا؟

- هذا موضوع آخر. ربما كان على حق.

- على حق؟ لا أفهم ماذا تقولين بحق الله، أيحق له أن يبتزّك؟

- لا، لا يحق له بذلك.

- لا أفهمك يا ستيفاني. أراك تخلطين الأمور. أتحاولين القول إنه لم يبتزّك؟ ما هو الابتزاز برأيك؟ لقد هبط هذا المحتال من السماء

وحاول أن يهدّدك بحادثة وقعت معك منذ خمس سنوات وتقولين إن لا علاقة لهذا بالموضوع. سيدرك جميع الناس أن ما يقوم به هو الابتزاز والتهديد بعينه.

ـ أرجوك روبرت. أصغ إليّ ولا تصرخ بوجهي!

ـ لا أصرخ في وجهك؟ هل سمعتني مرة أرفع صوتي بوجهك؟

ـ اسمع! لقد جعلني جيرار أستنتج شيئاً لم أرضَ سابقاً الاقتناع به، وهو أنني غير قادرة على الزواج بإيوان وأنه قد يأتي عليّ وقت فيصادفني شخص ويتعرّف إليّ ويكشف ما قد وقع معي في الماضي بشأن فضيحة آل يورغيس. لو لم يكن إيوان طبيباً ولو لم تكن عائلته في مثل هذا المركز الاجتماعي لاستطعت ربما إخباره الحقيقة من دون أن يكون لها بالضرورة تأثير. ولكن بكل صراحة أتتصور ردة فعل السيدة كاميرون عندما تعلم بالأمر؟ لا يتعلق الموضوع بالجريمة بل في اعتقاد الناس الخاطىء بأنني كنت عشيقة تيو يورغيس.

فقال لها روبرت بحدّة: «لا أعتقد ذلك أبداً، وهذه حال أبي وأمي».

ـ لن تصدق السيدة كاميرون حتى لو أقسمت لها أنني بريئة ولن ترضى بي كنة لها.

نظر إليها روبرت وعلامات الاقتناع في عينيه لكنه ظلّ صامتاً.

ـ لهذا السبب جئت مع جيرار. أردت أن أسير على الطريق السوي. لم يكن باستطاعتي البقاء والتكلم عن الماضي وعن وضعي ولم أشأ تبرير موقفي والمدافعة عن نفسي. بالنتيجة ما كنت لأحصل على شيء. لقد تركت واي فيل والحسرة في قلبي لأنني كنت سعيدة معك ومع غوين ومع إيوان ومع جميع الأصدقاء.

ـ لم يكن من الضروري أن تخبري إيوان بهذا الموضوع إذ كان كل

شيء يسير على ما يرام.

ـ ولكن ماذا لو صادف أن ظهر بعد سنة أو سنتين أو أكثر شخص يعرفني وحاول عندئذ أن يفضح ماضيّ؟ ماذا سيكون موقفي وقتذاك؟ وماذا ستكون ردة فعل إيوان وأمه؟ سيتأذيان من ذلك. أليس كذلك؟ كيف ستكون حياتي بعد ذلك وحياتك أنت ووشوشات الناس ونظراتهم؟ ستصبح حياتنا بلا شك جحيماً. لقد جاهدت كثيراً يا روبرت للحصول على مركزك في المستشفى وعلى شقة تستقر بها، فكيف أسمح لنفسي بتبديد تعبك كله في الهواء؟

تأثّر روبرت كثيراً بكلام ستيفاني ولم يدرِ ماذا يقول لها فظلّ صامتاً وأخيراً سألها: ماذا ستفعلين؟ هل تبقين في لندن؟

ثم نظر إليها بغضب وأردف: أم هنا مع تينيل؟

ابتسمت ستيفاني وهي تهزّ رأسها: «بالتأكيد لن أبقى معه. سأبيت هذه الليلة هنا فقط. لا تشك بي، فابنة عمه جوليا باقية معنا وقد طلبت مني أن أذهب إلى غرفتها المجاورة لغرفتي إذا احتجت إليها. يكفي أن أصرخ».

ابتسمت وقالت له: «أنا أحبّها كثيراً، إذ عرضت عليّ أن أنام عندها ريثما أجد غرفة وعملاً».

ـ ولكن تينيل حاول ابتزازك وأنا قادر على استدعاء الشرطة.

فقاطعته ستيفاني: «والتسبّب بفضيحة أكبر من السابقة».

ـ لماذا تعتقدين أنه لن يمضي بعيداً بعمله الدنيء هذا؟

ـ أرجوك روبرت! تروّ واضبط أعصابك، فقد حطمت له حوض النباتات الفخاري.

ـ ليتني حطمت رأسه!

تركها غاضباً وخرج يبحث عن جيرار.

ركضت ستيفاني وراءه وهي تصرخ:

- أرجوك روبرت لا تفعل ذلك.

لكنّه سبقها، وما إن شاهد جيرار أمامه حتى عاجله بضربة عنيفة من قبضة يده فرماه أرضاً وكاد رأسه يرتطم بأسفل السلالم ثم صرخ بوجهه بعنف:

- إذا تجرأت ولمستَ شقيقتي بإصبعك يا ابن الساقطة حطمت رأسك وأرسلتك إلى الجحيم.

ارتد إلى ستيفاني وقال لها:

- انتبهي إلى نفسك، وأعلميني بعنوانك وبمشاريعك.

- أجل سأعلمك.

كانت تراقب جيرار بقلق لأنها وجدته جامداً لا يتحرك.

دنت جوليا من باب المطبخ وهي تنظر بخوف إلى ابن عمها الممدد على الأرض.

نظر روبرت إلى ستيفاني، وقال لها:

- لا تنسي أن تراسليني مرة على الأقل في الأسبوع، يجب أن أعود الآن بسرعة. لقد طلبت من أحد زملائي أن يحلّ مكاني ووعدته أن أكون بالمستشفى في منتصف الليل.

ركعت جوليا على الأرض قرب جيرار وهي تردّد: «هل قضي عليه؟ هل مات؟»

فقاطعها روبرت وهو يخرج من الباب:

- ليت ذلك! إن عاد إلى وعيه فقولي له انني عنيتُ كل كلمة قلتها له. قولي له أيضاً ألا يحاول لمسَ شقيقتي.

ركضت ستيفاني وراءه فقبّلها على وجنتيها. قالت له:

- أنا آسفة جداً! بلّغ غوين تحياتي وحبي.

أجابها روبرت فجأة:

- وإيوان؟ ماذا أقول له؟

نظرت إلى البعيد وقالت له:

- سيأتي ليراني.

التفتت إلى روبرت فوجدته غاضباً جداً. قال بحزن: مسكين إيوان!

ثم رحل. فأقفلت الباب ببطء وراءه.

وقف جيرار وهو يحاول أن يستعيد توازنه وقواه.

قال لها:

- إنّ قبضة أخيك كالمطرقة الضخمة. أرجو أن يكون قد شعر ببعض التحسّن بعد هذه الضربة. فكّرتُ أن أدعه يربح الشوط الأول وإلاّ مكث هنا طوال النهار.

فأجابته ستيفاني غاضبة:

- رماك أرضاً بلكمة واحدة.

ابتسم فنظرت إليه والشك يراود قلبها. ربما كان على حق إذ شعر روبرت فعلاً بتحسن بعدما ضربه ولكن لو واجهه جيرار لتغيّرت نظرتها إليه... وجدته مُحبطاً أكثر مما توقعت، لكنّه محام وقد سمعت أنّ هذه المهمّة تتطلّب برودة أعصاب إلى جانب الفصاحة، يجب أن تتذكر ذلك، فهذا الرجل الواقف أمامها بعيد كل البعد عن البساطة ويصعب فهمه بسهولة.

قال جيرار وكأنه موافق على كلام ستيفاني:

- كانت ضربة موفقة، لكنني أشفقت عليه لأنه منفعل ومحبط.

أجابته ستيفاني بغضب:

- لم يكن قط محبطاً لذا لا تحاول أن تبرّر هزيمتك... لقد

استحققت ما نلته.

تضامنت معها جوليا وقالت له بتهكم:

ـ هذه حكاية المهزومين.

نظر إليها عابساً ثم راح يتأمل الإناء الفخاري المحطّم والشتلة الجميلة المنكسرة والأزهار المبعثرة والتراب المتناثر على الجدار وعلى الأرض، ثم قال:

ـ إنها كارثة.

وجدت ستيفاني أن هذه الكلمة هي صورة مصغّرة عن وضعها.

قاطعتهما جوليا قائلة:

ـ نسيتُ أن أذكّركما أنّ القهوة ساخنة، ألا ترغبان في شيء منها؟ هذه الدراما استنزفت حيويتنا.

قهقهت ستيفاني ضاحكة على هدوء جوليا ومزاجها البارد وكلامها.

***

٧ ـ جمعهما القمر

لم تعتقد ستيفاني أنّ بإمكانها النوم تلك الليلة بسبب سرعة تسلسل الصدمات التي وقعت معها في نهاية هذا الأسبوع وبسبب الصعوبة التي تجدها عادة عندما تنام في مكان جديد.

كانت قد حضّرت مع جوليا طعام العشاء، وهو طبق شهي من الربيان المجلّد والدجاج المسخّب وبعض النقانق والأرز المفلفل.

فيما كانتا في المطبخ تتحدّثان وتتعارفان كان جيرار قد ذهب إلى مكتبه ليراجع بعض القضايا المهمة التي أهملها في الأيام الماضية الأخيرة.

بعد ساعات طويلة، ذهبت ستيفاني إلى مكتبه لتقول له:

ـ العشاء حاضر. الظلام قد حل..

كان جالساً وراء مكتبه يراجع بعض ملفّاته وصدمت قليلاً عندما رأته يضع نظارتين على عينيه فشعرت للوهلة الأولى بأنها لم تعرفه.

تمتمت: جـ.. جـ..

أجابها: نعم.

ـ العشاء حاضر.

نزع عن وجهه نظارتيه ووضعها على المكتب.

ـ حسناً ها أنت هنا.

راحت ستيفاني تتأمّله ورأت بعض الخطوط تحت عينيه وحول فمه

فبدا لها أكبر من سنّه. لقد تخطى الخامسة والثلاثين من عمره فلماذا لم يتزوّج؟ ما الذي يمنعه ويؤخّره من ذلك؟ إنه محامٍ معروف وهو في بحبوحة مادية ويملك منزلاً كبيراً وجميلاً.

وقف ينظر إليها وقد رفع يديه فوق كتفيه وكأنه يحاول أن يستعيد حيويّته ثم قال لها:

ـ أنا جائع حقاً.

ـ ليس غريباً أن تشعر بالجوع فقد أصبحت الساعة الثامنة والنصف مساءً.

نظرت إلى المكتبة الكبيرة التي تغطّي الجدران والتي كانت رفوفها مكتظة بالكتب، وسألته:

ـ هذه الكتب جميعها كتب قانونية؟

ـ لا، إنها كتب متنوعة. أنا أترك معظم كتبي ومراجعي القانونية في المكتب فإذا كنت تحبّين القراءة فاختاري بعض الكتب وخذيها معك إلى غرفتك.

ـ شكراً ربما فيما بعد. جوليا بانتظارنا فقد جهّزت العشاء.

سبقته إلى الباب فتبعها وأطفأ النور في المكتب فعمّ الظلام في الغرفة، ارتطمت ستيفاني بكرسي كان قرب الباب فقال لها جيرار بقلق:

ـ ماذا أصابك؟

ـ لا شيء.

شعرت أنه أصبح خلفها، ولكنّها أسرعت وفتحت الباب وخرجت من الغرفة. ثم توجها إلى المطبخ.

تناولوا العشاء بشهية ثم ارتشفوا القهوة. أخذت هي وجوليا تغسلان الصحون وتنظفان المطبخ أما جيرار فذهب إلى مكتبه لمتابعة

عمله.

أخيراً جلستا لمشاهد التلفزيون، فسألتها جوليا:

ـ هل ستقبلين الوظيفة التي عرضها عليك جيرار؟

ـ سأحاول أن أجد عملاً في أحد الفنادق.

ـ من غير السهل إيجاد عمل في لندن. هناك نسبة كبيرة من البطالة.

ـ أعلم ذلك.

ولكن صعب عليها أن تقول لجوليا إنّها لا تثق بجيرار وإنها لا تريد أن تعمل في مكتبه.

ـ جرّبي أن تعملي مدة شهر، بعد ذلك اتخذي القرار المناسب.

ـ لم أقرّر حتى الآن.

ـ إذا كنتِ لا ترغبين في العمل عنده فقولي له ذلك... ولكنني أنصحك بالعمل عنده لأنه مشوق ولأن أجرته مرتفعة أكثر من أجور الفنادق.

ـ لكنني أفضّل أن أبتعد عنه.

ـ ولكن لماذا؟ أتعتقدين أنه سيستغل وجودك عنده؟ تشجّعي فأنا متأكدة أن باستطاعتك أن تستغلّيه وتوجّهيه كما تريدين. هل تعتقدين أنني لا أعرف المضايقات التي يحاولها أرباب العمل مع موظفاتهم. مررتُ بذلك شخصياً وغالباً ما تحدث هذه الأمور. كانوا ينظرون إلى شعري ويقولون في أنفسهم: الفتيات الشقراوات سهلات المنال فيحاولون التحرش للوصول إلى مرادهم ولكن مع بعض الثقة بالنفس وبعض الصفعات يفهمون أنهم أساؤوا التقدير... ستجرّبين ذلك بنفسك.

أغرقت ستيفاني بالضحك فكلام جوليا أزال من أمامها القناع عن تهديدات جيرار وكأنها نوع من التحرّشات التي لا خوف منها، فخفّ

بذلك توتّر أعصابها... ربّما عليها أن تقبل بهذه الوظيفة لأنها لن تراه إلا قليلاً في المكتب فسيمضي معظم أوقاته في المحاكم والمراجعات القانونية وقد تجد فائدة في التعرّف إلى الأمور القانونية.

قالت لجوليا:

- أحبّ العمل في الفندق لأن عملي يسمح لي بمقابلة عدد كبير من الناس على اختلاف طبقاتهم. تابعت دروساً في السكرتاريا وفي الصف على الكمبيوتر والمراسلة فعمل الفنادق مشوق ومتنوع.

أجابتها جوليا:

- أعتقد أنك ستقابلين عدداً قليلاً من الناس في مكتب جيرار، كالمجرمين ورجال الأمن وموظفي المكاتب والمدّعين العامين ورجال الأعمال...

ارتجفت ستيفاني لدى سماعها هذه اللائحة من الأسماء، لقد شاهدت ما يكفي من رجال الأمن والمدّعين العامين منذ خمس سنوات وهي لا تحب أن ترى أمثالهم من جديد. فتظاهرت بالنعاس وقالت لجوليا:

- إنني متعبة كثيراً، أظنني بحاجة إلى النوم. عمت مساءً.

صعدت إلى غرفتها فوجدتها باردة لأنها نسيت النافذة مفتوحة فأقفلتها وأسدلت الستائر، وذهبت بعد ذلك إلى الحمام لترتدي ثياب النوم. نظرت إلى المرآة فوجدت أنها كبرت في هذه الأيام المضنية منذ عاد جيرار تينيل إلى حياتها. أحست بالضيق والحسرة والندم وتساءلت: ماذا سيحصل لإيوان عندما يعود ويجدها قد رحلت؟ سيفتقدها كما تفتقده الآن. لقد كانا صديقين حميمين.

كانت تسرّح شعرها عندما سمعت باب الغرفة ينفتح. اضطربت وتغيّر لونها عندما رأت جيرار يدخل ويتّجه نحوها.

قالت له بعصبية: «ماذا تريد؟ أخرج من هنا!».

أجابها:

- جلبت لك بعض الكتب لأنك نسيتِ أن تجلبيها بنفسك.

ووضعها على الطاولة: اخترتها متنوعة لتختاري الكتاب الذي يعجبك.

ربطت الحزام فوق قميص النوم وقالت له:

- شكراً.

ولكنه أقفل الباب فشعرت ستيفاني بالاضطراب.

- قلت لك اذهب من هنا.

وقفت خلف الكرسي وأمسكت طرفيها بيديها لتضربه بها إذا ما حاول الاقتراب منها. ولكنه كان أسرع منها فوثب وجلس عليها، فارتدت ستيفاني إلى الوراء.

قال لها: «لم تخبريني بقرارك حتى الآن».

أحسّت بدوار وهي تشعر به قريباً منها فهي لا تريد أن تنظر إليه لئلا تشعر بالضعف.

كرّر سؤاله ثانية: «هل اتخذت قرارك؟».

- بأي شأن؟ لا أفهم ماذا تعني.

راحت تتأمله... إنه شاب وسيم مثير جذاب. شعرت بشوق جارف إليه، ولكنها نهرت نفسها وثابت إلى رشدها. علمت أن مشاعرها ستودي بها إلى الهلاك إن لم تتمالك نفسها، ولكنها شعرت فجأة بجيرار يحاول تطويقها بذراعيه فحاولت التراجع إلى الوراء لتهرب من الباب لكنه شدّها برشاقة. أرادت أن تصرخ، لكنّه كان أطبق عليها يعانقها بقوة. لم ترد أن تُغمض عينيها، لكن كأن أحداً أطفأ الأنوار، فغرقت الغرفة في الظلام الدامس. عانقها جيرار بشغف فشعرت

ستيفاني بقواها تتخدر حتى كادت تعجز عن مقاومته.

شعرت فجأة بشعور غريب يدفعها إلى مقاومة ضعفها قبل فوات الأوان، فراحت تتمتم:

- لا أريد ذلك.

وحاولت أن تدفع كتفيه إلى الوراء بيدها الواهنة الضعيفة.

- ألا تريدين ذلك حقاً؟

- بكل تأكيد لا أريد ذلك.

- أعتقد أنك لا تعرفين ماذا تريدين.

- توقف عن ذلك.

راح يتمتم:

- ستيفاني عاجلاً أم آجلاً...

ثم عاد يعانقها ولكنها استعادت رباطة جأشها وقالت له بتحد:

- لا تراهن على ذلك!

وانسلت من بين يديه بسرعة: والآن أرجو منك أن تخرج من غرفتي قبل أن أنادي جوليا.

قال وهو يتثاءب: «على كلّ أنا تعب وبحاجة إلى النوم».

تقدمت وفتحت الباب، فتوقف وقال لها:

- قبل أن أنسى يمكنكِ أن تستريحي طوال هذا الأسبوع، لكن أريد أن تباشري العمل صباح الاثنين المقبل.

- لم أتخذ قراري.

- اتخذيه إذن بسرعة! يجب أن تباشري قبل رحيل الموظفة... على فكرة هل أنت حاذقة في عمل السكرتاريا كحذاقتك..

قاطعته بحذر: «كحذاقتي بماذا؟»

ضحك وتدارك كلامه:

- كحذاقتك في عملك الفندقي... ماذا اعتقدت أنني أعني بكلامي؟ على كل في الحالات الطارئة سنستعين بخبرتك وبراعتك في السكرتاريا. عمتِ مساء ستيفاني.

أقفلت الباب وراءه بعنف فسمعته يضحك وهو يتوجه نحو غرفته، وتساءلت «أسمعت جوليا ما دار بيننا؟ هل كانت واقفة تحرسنا أم تراها أوت إلى فراشها وغفت؟»

تناولت ستيفاني أحد الكتب التي جلبها جيرار وهي قصة بوليسية مشوقة. ظلت تقرأها حتى أحست بالتعاس وكانت الساعة آنذاك الواحدة ليلاً فأطفأت النور وغفت.

استيقظت صباحاً على رائحة القهوة وسمعت جوليا تناديها: «هل تريدين أن أحمل لك طعام الفطور إلى السرير؟»

- لا! شكراً. أنا نازلة بعد خمس دقائق.

أسرعت ستيفاني إلى الحمام فاغتسلت ولبست ثيابها وسرّحت شعرها وتوجهت إلى المطبخ حيث استرعى انتباهها ثلاثة أشياء. أولاً: كانت تمطر خارجاً، ثانياً: كانت الساعة حوالى العاشرة صباحاً، ثالثاً: كان جيرار قد ذهب إلى مكتبه باكراً. شربت قهوتها وأخذت تتناول بشهية طبق الفطور الذي أعدته لها جوليا من لحم العجل والفطر.

- شكراً جزيلاً يا جوليا لأنك أعددت لي هذا الطبق الشهي وأعتذر كثيراً لأني تأخرت في النوم. لم أستطع النوم ليلة أمس.

- أنا عادة لا أنام كثيراً لأنني أعاني من الأرق. لقد نهضتُ عندما كان جيرار يستعد للخروج من المنزل في الساعة الثامنة وخمس دقائق.

بعد انتهاء طعام الفطور سكبت جوليا لها ولستيفاني فنجاناً من القهوة وراحت تنظر إليها مبتسمة فسألتها ستيفاني:

- لقد ذكرت أمس أن لديك غرفة صغيرة تابعة لشقتك.

ـ أجل . . . إذا كنت راغبة فيها فهي لك.

أجابتها ستيفاني: أريدها شرط أن أدفع إيجارها ولكنني لا أعلم كم سأمكث فيها؟

ـ بالحقيقة كنت أؤجر غرفتي من وقت إلى آخر وأنا مستعدة لتأجيرك إياها المدة التي تريدين، ولا تقلقي على قيمة الإيجار فلن تختلف. أجرتها ذات مرة إلى فتاة سويدية جميلة فجاءت إلى الغرفة نهار الاثنين وتوصلت نهار السبت إلى إغراء صديقي الذي فرّ معها بعدما كسرت لي حوض الزهور.

فضحكت ستيفاني وسألتها:

ـ ما الذي تأسفتِ عليه أكثر صديقك أم حوض الزهور؟

ـ حوض الزهور بالتأكيد لأن تلك الزهور نادرة ورائعة ولكنني تعرفت إلى رفيق جديد في غضون شهر تقريباً.

ـ حسناً أعدك بألا أكسر لك شيئاً وبألا أغوي صديقك الجديد.

ـ إنه خارج لندن الآن. لقد سافر إلى الريو مدة ثلاثة أشهر ليقوم ببعض الدراسات فهو عالم بيولوجي. كنت قليلة الحظ مع الرجال الذين التقيتهم في الماضي ولم أقابل حتى الآن الشخص المخلص الذي أفتش عنه.

ـ من منا التقت بمثل هذا الشخص؟

لم تفكر ستيفاني في إيوان وهي تتكلم هكذا بل فكرت في جيرار وتعجبت كيف كان منذ خمس سنوات يحبها بإخلاص وكيف تبدّل وتغيّر. . . كم من النساء تعرف إليهن في هذه المدة؟ لم يتزوج حتى الآن ولكن هذا لا يبرهن شيئاً. لا تظنه من النوع المخلص وكل تلك الحكاية عن شعوره نحوها في السابق هي بالتأكيد كإطلالة القمر، حكاية جميلة ابتكرها لأنها منذ خمس سنوات جرحت عنفوانه وهذا ما

لم يكن معتاداً عليه: أن يكتشف أنّ المرأة التي راقت لعينيه تميل بعينيها إلى شخص آخر. يجب أن تكون حريصة لئلا يعرف أبداً كم كانت منجذبة إليه بصدق. . . كم صُدمت عندما راح يعاملها كفتاة بتلظى بحرارتها. هو لم يصدم بل أهين في صميم عنفوانه، واعتقد أنها قد استعملته غطاء لتمرير صفقة تجارية مع رجل عجوز، رجل يكرهه، لأنه لم يجذبها إليه غير ماله. لم تصدق أن جيرار شعر بالغيرة من تيو فهو لم يفكر إلاّ في نفسه وكرامته لأنها لم تفضله هو الشاب الجميل والجذّاب، على ذلك العجوز ودراهمه. لذلك لا تعتقد أن نظراته كانت صادقة نحوها، وإلاّ كيف أخذ على محمد الجدّ وقبل أن يصدّق أن تلك الفتاة البريئة والعديمة الخبرة التي تخجل من كل شيء قد تقدم على أمر مشين.

لو أحبها فعلاً لحرص عليها ولما صدّق أكاذيب فيولا. يجب أن يبتعد عن طريقها ويختفي من حياتها إذ لا يجدر به أن يظهر بعد مرور خمس سنوات ليهدّدها ويحاول ابتزازها لتترك كل شيء وراءها وتأتي معه بعيداً، وفوق ذلك حاول بالأمس الدخول إلى غرفتها لإغوائها عن سابق تصور وتصميم. كان يعاملها بسخرية وقسوة ووحشية واحتيال. لو لم يكن شخصاً عدائياً لما قرّر أن يأتي فجأة إلى واي فيل ليحطم حياتها ويجبرها على الهرب.

ذهبت ستيفاني بعد الظهر لترى شقة جوليا التي تقع في ضاحية «تشلازيا». . . إنها شقة صغيرة تحتوي على سريرين وغرفة استقبال صغيرة ومطبخ صغير وحمام ولكن هندستها عصرية.

لم تكن جوليا تعمل في الوقت الراهن لذلك كانت مضطرة إلى تأجير الغرفة. فهي تربح في بعض الأشهر مبلغاً كبيراً من المال وأحياناً أخرى تكون مضطرة إلى تأمين نفقاتها فتؤجّر الغرفة، وفضلت ستيفاني

أن تدفع لها نقداً.

قالت لها جوليا:

ـ أنت فتاة رائعة! أنا أقرأ بالكفّ وأعرف الأشخاص من أول نظرة... لقد رأيت أخاك مرة واحدة وبدا لي شخصاً محترماً رغم عصبيته.

رنّ جرس الهاتف مساء ففتحت جوليا الخط ونادت بصوت عال:

ـ ستيفاني احزري من يتكلم!

ناولتها السماعة، فسمعت صوت جيرار يقول لها: «كيف الحال حيث أنتِ؟».

اضطربت قليلاً لكنها تمالكت أعصابها:

ـ على أحسن ما يرام... شكراً.

ـ هل تفتقدينني؟

خافت أن تسمعها جوليا فوضعت يدها على السماعة وقالت له:

ـ كنت مشغولة جداً طوال النهار.

ـ هل جوليا قربك؟

ـ نعم.

ـ هل تقدر أن تسمعني؟

ـ بالتأكيد لا تسمعك.

قال لها وهو يضحك:

ـ لماذا لا تأتين إلى منزلي هذا المساء فرفقتي أفضل من رفقة جوليا؟

ـ لا! شكراً يجب أن أذهب الآن. إلى اللقاء.

وأقفلت السماعة بسرعة.

كانت جوليا تراقبها فقالت لها وقد رأتها مضطربة:

ـ جيرار شاب ممتاز، عرفته طوال حياتي. قد يكون مزعجاً أحياناً ولكنه نشيط وطموح وكفؤ في عمله. عندما يكون في مشكلة أهرع لمساعدته. ثقي به ستيفاني!

ـ هل أقدر أن أثق به فعلاً؟

لم تكن ستيفاني مقتنعة بهذا الكلام، فجوليا هي ابنة عمه وهي تعتبره كأخيها لذا من الطبيعي أن تدافع عنه. ربما جيرار مغرم بها ولكنه حتى الآن لم يقم بأية بادرة لتثق به. بين جوليا وجيرار عامل حيوي مفقود وهو العلاقة بين الرجل والمرأة. عندما يدخل هذا العامل في صداقة المرأة والرجل يصبح كلعبة الزهر. فلُعبة الصداقة تصبح معركة وقد صمم كل واحد فيها أن يخرج منتصراً وكرامتها لا تسمح لها بالهزيمة على يدي جيرار تينيل.

جيرار عازم أن يربح لأن عنفوانه في دفة الميزان هو يقاتل بشراسة ويحاول أن يستعمل أية طريقة للوصول والخروج منتصراً ولكنها لن تسمح له أن يهزمها.

في النهار التالي خرجت مع جوليا في جولة استكشافية للتعرّف إلى لندن. فشاهدت برج لندن والحدائق الساحرة تارة بواسطة الباص وطوراً مشياً على الأقدام ثم تناولتا طعام الغداء في احد مقاهي شارع جبل طارق حيث كان الطعام شهياً ولذيذاً. زارتا بعد ذلك حديقة الحيوانات فشاهدتا الأسود والحيوانات العديدة المتنوّعة ونوافير المياه الرائعة.

في المساء خاطبها جيرار على الهاتف، بدا صوته بعيداً عندما قال لها إنه في «بريتون» للاجتماع بأحد زبائنه:

ـ السماء هنا صافية رائعة والقمر بدر وفندقي يطل على البحر... أتمنى لو تكوني معي لمشاهدة ضوء القمر الحالم.

رفعت ستيفاني الستار عن النافذة ونظرت إلى السماء فرأت القمر

www.rewity.com/vb
سنو وايت

في لندن بدواً رائعاً كما وصفه جيرار. سألها:

ـ ماذا فعلت اليوم؟

فأخبرته أنها ذهبت مع جوليا في جولة سياحية في شوارع لندن وحدائقها. قال لها:

ـ لا تنسي أنك ستبدأين العمل نهار الاثنين القادم صباحاً في تمام الساعة التاسعة. ستعطيك جوليا عنوان المكتب إذ لن أستطيع رؤيتك حتى ذلك التاريخ. لدي عدة قضايا معقّدة يجب أن أنهيها قبل نهار الاثنين.

ـ ما هي طبيعة هذه القضايا؟

ـ إنها قضايا قانونية عادية، هل اتصل أخوك أو كاميرون بك؟

ـ لا، لست أدري لأنني كنت طوال النهار خارج المنزل.

ـ إن جاء إيوان لزيارتك فلا تحاولي الاجتماع به بل اتركيه لي... اطلبي من جوليا أن تهتمّ به، ولكن لا تحاولي رؤيته أبداً.

لم تجبه بل قالت له:

ـ سأقفل الخط لأنني مضطرة للخروج.

وأقفلت الخط حتى قبل أن تقول له: طابت ليلتك.

أبعدت الستائر من جديد وراحت تتأمّل ضوء القمر متسائلة: ترى هل ينظر الآن إلى القمر ويفكّر فيها؟

* * *

٨ ـ لماذا تهربين يا ستيفاني؟

بدأت ستيفاني عملها في مكتب جيرار صباح الاثنين. تصورت أنها ستعمل في بناء ضخم حديث مفروش بالأثاث الأنيق لأنها عرفت أن جيرار محام لامع وناجح، لذا توقعت أن يختار مكتباً في بناء لائق ليتباهى به أمام معارفه وأصدقائه.

وكم خاب ظنها عندما وجدت نفسها تصعد أدراج بناء قديم يعود إلى أوائل القرن التاسع عشر، درابزينه من الحديد الأسود الصدئ والبناء ضيّق مؤلف من ثلاث طبقات قرميده اسودّ عبر الزمن. كانت الحجارة المحيطة بالنوافذ ناتئة ومهترئة، نوافذه على شكل مكعبات. يبدو أنه يعود إلى أيام القرن الماضي. تساءلت ستيفاني إذا أخطأت بالعنوان فنظرت إلى اللوحة المعلّقة على الحائط وحاولت قراءة ما كتب عليها.

سمعت فجأة وراءها صوتاً يقول: لقد ماتوا جميعهم! فقفزت مرتعبة، وأدارت وجهها لترى أمامها شاباً ينظر إليها:

ـ هل أستطيع أن أساعدك؟ أنا موظف في المؤسسة. هل تفتشين عن أحد؟

ـ أجل، أنا ستيفاني ستيوارت، وأنا...

ـ أجل! أنت موظفة الاستقبال الجديدة في المؤسسة. لقد طُلب إلي أن أنتظرك.

طلب منها أن تصعد السلالم وراءه.

ـ أدعى باري تومكنز أنا موظف مبتدئ أعمل مع رئيس الموظفين السيد موندي الذي ستقابلينه بعد لحظة، فهو يصل دائماً إلى عمله في تمام الساعة التاسعة وإحدى عشرة دقيقة.

ضحكت ستيفاني.

ـ أجل فالقطار الذي يصعد فيه يصل في تمام الساعة التاسعة إلاّ خمسة دقائق إلى ساحة كينغ كروس، وهو بحاجة إلى ست عشرة دقيقة من المشي على قدميه ليصل إلى المكتب.

ثم أكمل: «نحن عادة ننادي بعضنا في المكتب بالاسم الأول أنا أعني موظفي السكرتاريا. طبعاً إلا المحامي الذي نناديه حضرة السيد... وهناك موظفة أخرى ندعوها أيضاً الآنسة ديانا كنج».

دخلت ستيفاني إلى المكتب فوجدته فارغاً. كان فيه فتاة ترتدي ثوباً رمادياً تضع بعض الأوراق والملفّات في صندوق كبير أسود مخصّص للمغلّفات، نظرت إليهما وقالت:

ـ هللو باري، تأخرت.

قال لها:

ـ أعتقد أن ساعتك مُخطئة «لولو».

ـ لا تناديني لولو.

قالت ذلك وهي تنظر إليه غاضبة.

ـ ستيفاني! أقدّم لك لولو وهي أقدم سكرتيرة هنا لذا تعتقد إنّها تُدير المكان.

نزلت الفتاة ذات الشعر الأسود عن مقعدها، فراح باري ينظر إليها بوقاحة. حاولت أن تتحاشى نظراته فقالت له: أليس لديك عمل آخر تقوم به؟

نظر إليها وهو يضحك قائلاً:

ـ أجل، أجل يا إيمي.

واختفى عن نظرها قبل أن تصل إليه فتقدمت من ستيفاني ومدّت يدها لتصافحها:

ـ أهلاً بك! أنا «إيموغن باربر»، أرى أن «جون» قد تأخرت كالعادة. لدى وصولها ستشرح لك ما طبيعة عملك. يفترض بها أن تكتب لكِ لائحة بالأمور التي عليك القيام بها. ذكّرتها بذلك عدة مرات ولكنها لا تهتمّ إلا بموسيقى البوب وبصديقها وبتمضية الأوقات الجميلة، لهذا السبب تترك العمل أو بالأحرى طلبنا منها أن تقدّم استقالتها لأنها غير منتظمة في عملها، طائشة لا تعير انتباهها إلى الزبائن، ولا تعمل بدقة وإن لم أكن هنا لأراقبها تأت متأخرة وتخرج قبل الدوام. لذلك أرجو أن تقومي بعملك بجد.

أجابتها ستيفاني:

ـ سأبذل جهدي.

نظرت إليها إيموغين نظرة باردة:

ـ سنرى كيف سيكون جهدك.

لا بدّ أنّ هذه الفتاة الباردة كالثلج تعمل لجبرار ولكنها جذّابة رغم برودتها ونظراتها الجامدة، ولا شك أنه يقدّرها.

فُتح الباب فجأة، وخرج منه رجل في العقد الخامس من عمره، أومأ بيده إلى إيموغين ورمى نظرة عابرة إلى ستيفاني.

قالت له إيموغين:

ـ صباح الخير سيد «يومان».

وعندما دخل إلى إحدى الغرف، قالت لها إيموغين: إنه السيد يومان وهو محام متخصّص في القانون المدني. أمّا أقدم محام هنا فهو السيد «أولنيو» الذي لن تشاهديه طوال هذه المدة لأنه مريض. ديانا

تقوم مرحلياً بعمله وهي تنوب عن المحامين لدى غيابهم. بلغ السيد أولنيو الستين من العمر وهو يقول دائماً إنه سيتقاعد ولكنه لا يفعل. إنه محام قدير. عليّ الآن العودة إلى مكتبي فأنا مضطرة إلى إنهاء بعض الرسائل المستعجلة لرئيسي.

فيما كانت تتكلم انفتح الباب وظهرت موظفة حاولت عدم لفت أنظار إيموغين إليها. لكنّ هذه الأخيرة عاجلتها قائلة:

ـ تتأخرين دائماً! لا ينفع الكلام معك. هذه هي ستيفاني ستيوارت، الموظفة البديلة عنك. حاولي عدم تعليمها عاداتك السيّئة.

ثم دخلت إلى مكتبها فنظرت إليها الموظفة نظرة حقد وقالت غاضبة:

ـ إنها هرّة متهكمة تعتقد أنها كاملة، إنها تُسئمني.

علقت معطفها وراء الباب وابتسمت لستيفاني:

ـ أهلاً بك في «كولدتيز». أنا جون، أشكر ربي لأنني تاركة العمل في هذه المؤسسة فبذلك أتخلص من لولو وملاحظاتها.

ـ لماذا تدعونها لولو؟

ـ حسناً! عمل لدينا شاب أميركي مدة وجيزة. في ذات الوقت كانت تعمل بلا انقطاع وفي أحد الأيام اضطرت إحدى الموظفات إلى التغيب لأنها توشك أن تلد. كان ذلك الأميركي يكره إيموغين لكنه كان ودوداً معها. وفي ذلك النهار الذي تركت فيه تلك الموظفة لتذهب إلى المستشفى وتلد طفلها، وقف أمام إيموغين وقال لها: أنتِ بالفعل «لولو» أي رائعة ولكنك من دون عقل أو تفكير. لا تهتمين إلاّ بعملك، ولكن العمل غير مهم إلى هذه الدرجة، وذات يوم سيأتي رجل حقير ويأخذك يا لولو. إيموغين تكره هذه العبارة ونحن في كل مرة نريد مضايقتها وإزعاجها نناديها: «لولو». أنا وباوي وسيليا وهي موظفة في

المكتب، الفتاة التي تكلمنا عنها أم الطفل.

عندما كانتا تتحدثان انفتح الباب وخرج منه رجل طويل القامة نحيل الجسم أسود الشعر نظر إلى جون وقال لها:

ـ أنت تضيّعين دائماً الوقت جون... هل فرزتِ البريد ونظّمتِ جدولاً بعمل اليوم وعلقته على الحائط؟

نظرت إليه جون وهي تحاول الابتسام «أحاول يا سيدي أن أشرح كيفية العمل لموظفة الاستقبال الجديدة الآنسة ستيوارت».

نظر الرجل إلى ستيفاني بتمعن وقال لها:

ـ أنا السيد موندي رئيس الموظفين في المؤسسة، أنتظر منكِ أن تضعي دوماً رسائلي على مكتبي قبل وصولي. أرجو أنْ تتذكّري ذلك.

ثم دخل إلى غرفته.

عجّ المكتب قبل الظهر بالزبائن الوافدين إلى المؤسّسة وكانوا على عجلة من أمرهم للاجتماع بموكّليهم. كان الموظفون الصغار في حركة دائمة يمسكون في أيديهم الرسائل والملفّات أما الموظفون الكبار فيتركون من وقت إلى آخر مكاتبهم للدخول إلى مكتب السيد موندي ليُعلموه بالمستجدات المتعلّقة بسير العمل في المؤسسة وكان الهاتف يرنّ بصورة متواصلة لذا ظلت ستيفاني طوال الوقت واقفةً على قدميها بين بحر من الأوراق والملفّات.

سألتها جون: «متى تريدين الخروج لتناول طعام الغداء؟ أنا عادة أخرج في تمام الساعة الواحدة ظهراً ولكن الزملاء يخرجون أيضاً فيصبح المكتب فارغاً بين الساعة الواحدة والثالثة».

ـ هل نذهب معاً؟

ـ أفضل أن نخرج كلٍ بمفرده لعدم لفت الأنظار.

خرجت ستيفاني باكراً لأنها أرادت أن تتعرف إلى الجوار. لم تكن

جائعة ففكّرت أن تتناول سندويشاً أو بعض السلطة، وفيما كانت تسير وسط الشارع سمعت صوتاً يناديها باسمها. التفتت إلى الوراء فرأت باري يحاول اللحاق بها.

قال لها: انتظريني، سأعزفك إلى أفضل المطاعم وأرخصها.

ـ لستُ جائعة. أريد أن أتناول سندويشاً فقط.

ـ أنتِ بحاجة إلى أكثر من ذلك، فالنهار طويل جداً ومن المحتمل أن تشعري بالجوع قبل الساعة السادسة.

وضع يده حول خصرها وانعطف معها إلى الجهة الأخرى:

ـ هناك مطعم صغير في تلك الزاوية يدعى «الوغيز» سيعجبك طعامه كثيراً.

قرّرت ستيفاني أن تغضّ النظر عن تصميمها على زيارة المحلّة والتعرّف إليها، وفضلت تناول طعام الغداء مع باري.

عندما أصبحت الساعة الواحدة، أرادت ستيفاني العودة إلى العمل فقال باري:

ـ لماذا أنت على عجلة؟ لن ينتبه أحد إلينا إذا تأخرنا بعض الوقت.

ـ إنه يومي الأول في العمل لذا أفضّل أن أعود مبكرة إلى المكتب لئلا يأخذوا فكرة سيئة عني.

كان باري يسير معها وهو يضع يده حول خصرها.

ـ ربما أخذت فكرة سيئة عني.

لاحظا سيارة أنيقة تسير في الطريق على مهل خلفهما. التفتت ستيفاني فرأت جيرار يراقبهما من خلف الزجاج بنظرات قاسية. انتبه باري إليه فأبعد يده بسرعة عنها وقال لها: «إنه السيد تينيل وهو الشيطان بعينه عندما يكون متعكر المزاج. أكرهه هو وإيموغين، فلسان كلٍ منهما كالعقرب لذا من الحكمة تجنب الاصطدام معهما. ولكنه

الأخطر، فأنا أسخر أحياناً من إيموغين وأضايقها ولكن لا أتجرأ أبداً على مضايقة السيد تينيل».

قالت ستيفاني ببرودة:

ـ وأنا بدوري سأحاول عدم مضايقته.

ودخلت إلى المكتب الذي ما يزال فارغاً وبارداً لأن النوافذ مشرّعة والهواء يتسلل منها، لم تكن جون قد عادت من الغداء. مسحت الغبار عن المكتب وأخذت تتفحص الملفات المتواجدة على الرفوف خلف مكتبها. ما زال العمل غامضاً بالنسبة إليها.

عادت جون إلى المكتب في الساعة الثانية والنصف، بدأ الزبائن يتوافدون بكثافة ابتداءً من الساعة الثالثة لذا لم تشعر بوجود السيد يومان أو السيد تينيل في ذلك الوقت. ولكن في نهاية العصر عادت ديانا كنج من المحكمة وترتدي بزّتها السوداء وتمسك بعض الملفات والأوراق بين يديها. لم تنتبه إلى وجود ستيفاني وأومأت برأسها إلى جون ثم تابعت المسير إلى مكتبها. كان شعرها قصيراً جداً ووجهها خالياً من المساحيق ونظرها ضعيف.

أخبرتها جون أن ديانا هي أصغر محامية في المكتب وأنها تقوم بكل الأعمال التي لا يرغب المحامون الآخرون في إجرائها:

ـ إنها المحامية القانونية المساعدة التي تقوم بالأعمال القانونية بأقل كلفة والتي لا تستوجب وجود المحامين الكبار أصحاب الخبرة الطويلة، وأنا أحبّها أكثر من كل المحامين الآخرين.

ـ تبدو نعية ومرهقة.

ـ العمل مرهق جداً في هذا المكتب. مسرورة لأنني سأترك العمل هنا.

ونظرت إلى ساعتها: «إنها الخامسة إلاّ ربعاً، سأخرج الآن لألحق

باكراً القطار الذي سيقلني إلى محلة سانت آلبان».

ـ هل تسكنين هناك؟ أنت بحاجة إلى وقت طويل للوصول إلى هنا.

ـ أجل إنّ الوقت للوصول إلى المنزل يرهقني. حاولي تدبر الأمور عندما أخرج.

ـ لا بأس سأتدبّر الأمور.

قالت لها جون:

ـ إنك ملاك. إلى اللقاء غداً.

انفتح الباب وخرجت إيموغين من مكتبها وهي تحاول أن ترى أين هي جون؟ قالت:

ـ أرى أنها خرجت باكراً كعادتها... لا يحق لها أن تترك قبل الساعة الخامسة والنصف، والأنكى أنها وصلت متأخرة اليوم. أرجو أن تعلمي أنتِ أيضاً أن عليك البقاء في المكتب حتى الخامسة والنصف.

قالت ستيفاني:

ـ لا بأس أتفهم ذلك.

نظرت إلى الغبار على يديها وقالت:

ـ أليس هناك موظف مسؤول عن تنظيف هذا المكان؟ لقد غسلت يدي للمرة الخامسة عشرة وأنا أتفحص هذه الأوراق والملفات الغارقة بالغبار منذ سنوات.

أجابت إيموغين: «هذا ليس عملنا، فالموظفون المسؤولون عن تنظيف المكتب يأتون إلى عملهم بعد ذهابنا ولا يُسمح لهم أن يمسكوا أي شيء».

أجابت ستيفاني: هذا غير منطقي... أنا مضطرة الآن للذهاب لأغسل يدي فالعمل في هذا المكتب أشبه بالعمل في المناجم.

ـ اتركي لهم إن شئت ملاحظة واطلبي منهم تنظيف المكان ولكنهم لن يعيروك أي انتباه.

كان دوام العمل قد انتهى فخرجت إيموغين من مكتبها للعودة إلى المنزل. عندما رأت أن ستيفاني ما تزال تعمل استغربت:

ـ يمكنك الخروج فالساعة الآن هي الخامسة والنصف.

ـ سأحاول إنهاء ترتيب هذه الملفات قبل ذهابي.

ابتسمت إيموغين وقالت لها: «إلى اللقاء غداً».

كانت ستيفاني تعمل بجد طوال فترة بعد الظهر في محاولة لترتيب المكان وتنظيم الملفّات وتنظيف الغبار العالق بها لتستطيع مواصلة عملها فيما بعد بسرعة ونظام. بدأت تجد العمل مشرقاً في هذا المكتب، وعندما انتهت من عملها كانت متعبة مرهقة فأرجعت رأسها إلى الوراء لتستند إلى الكرسي ونظرت إلى الساعة فإذا هي السادسة مساء. ارتدت معطفها بسرعة وحاولت الخروج، عندما سمعت الباب الداخلي ينفتح فجأة. التفتت إلى الوراء فرأت جيرار واقفاً في الممر ينظر إليها. ارتعشت لأنها تذكرت كيف وقف أمامها منذ خمس سنوات ونظر إليها هكذا بعينيه الغامضتين. فخاطبها:

ـ ما زلت هنا؟ حسناً أوذ لو أكلّمك لبعض الوقت.

أجابته: «آسفة يجب أن أخرج».

أمسك بيدها واقتادها إلى المكتب وهو يقول: «تعالي، لا تحاولي الجدال هل سارت الأمور على ما يرام اليوم؟».

ـ أرجو ذلك، لكنني متعبة فأنا هنا منذ التاسعة صباحاً وها هي الآن الساعة السادسة مساء ولم يعد في المكتب أحد. يجب أن أذهب.

ـ لا أطلب منك أن تعودي إلى العمل.

أخذها بيده ومشى أمامها في ممر طويل حتى وصل آخره ففتح

www.rewity.com/vb

الباب وأدخلها لتجد نفسها في غرفة واسعة يتوسطها مكتب كبير حوله عدة كراسي ووراءه مكتبة كبيرة رفوفها ملأى بالكتب. جلس جيرار في كرسي من الجلد خلف المكتب وقال لها:

ـ هل تناولت طعام الغداء مع باري؟ لن أشجعه بعد اليوم، فهو يتصرف على هواه كما تقول إيموغين. سأراقبه من الآن وصاعداً.

ردّت ستيفاني:

ـ أحبيته... إنه شاب لطيف.

أجابها جيرار بغضب:

ـ إن كان من اليوم الأول على عملك قد وضع يده حول خصرك، فبعد أسبوع ماذا يفعل؟

ـ أقدر أن أتدبر أموري مع باري، إنه شاب جيد. ولكنني الآن مضطرة إلى الذهاب، وعدت جوليا أن أكون عندها في تمام الساعة السادسة والنصف.

وضع جيرار قدميه على حافة المكتب وقال لها:

ـ هل أتيتِ إلى العمل بسيارتك؟

ـ لا، بل جئت بالباص.

ـ حسناً ما فعلت، لأن من الصعب أن تجدي مكاناً لإيقاف سيارتك.

نهضت ستيفاني وحذا جيرار حذوها.

قالت له:

ـ أشكرك على هذه الوظيفة ولكنني أرجو أن تغيّر طريقتك في التعامل معي.

ـ لا بأس، هل ستتناولين طعام العشاء معي هذا المساء؟

كانت قد رفعت يدها لتفتح الباب حينما شعرت أنه أصبح خلفها

وغمرها بذراعيه.

ـ لا أقدر، أنا آسفة فجوليا حضرت لي بعض السباغيتي.

ـ لا أهمية لذلك! يمكنك الاتصال بها والطلب إليها أن تؤجل طبخ المعكرونة ليوم آخر. لماذا لا تتناولين العشاء معي؟ فلم أرك منذ أسبوع.

كان صوته عميقاً خفيفاً وحميماً، فأدخل الارتباك إلى جسمها وتفكيرها.

ـ لقد حلّ الظلام هنا.

ـ هل تخافين من الظلام؟ أم مني؟

أحنى رأسه ليضعه على شعرها فأحست بالحرارة تحرق جسمها. وشوش في أذنيها:

ـ ستيفاني! لماذا ترتجفين وتحاولين الهرب من الحقيقة؟

أجابته:

ـ أنا لا أرتجف.

حاولت أن تقاوم أحاسيسها التي سيّرتها في مكانها. لم يكن عليها إلا أن تفتح الباب وتخرج، فتساءلت: ترى! لماذا لا تفعل ذلك؟ لماذا لا تزال واقفة كالصنم؟ لماذا سمحت له بضمها من دون أن تقاوم؟ لماذا تدعه يفعل بها ذلك؟ تمتمت بصوت غامض:

ـ يجب أن أذهب. أرجوك اتركني.

فأجابها وهو يوشوش في أذنيها:

ـ لقد افتقدتكِ كثيراً.

تحركت مشاعرها التي كادت تحرق ما تبقّى من روح المقاومة عندها. لا بدّ أنّه يشعر بذلك من خفقان قلبها ومن سرعة نفسها.

رنّ صوت الهاتف فجأة فتوتّرت أعصاب جيرار وقال غاضباً:

ـ من الذي يحاول إزعاجي الآن بحق الله، لن أردّ على الهاتف فلنذهب الآن.

أقفل المكتب ثم أمسكها بيدها ونزل معها السلالم وتوجها إلى طرف الشارع حيث استقلا سيارته الديملر السوداء، وانطلق بها في الشوارع المضاءة بالأنوار الصفراء. لم تنتبه في بادىء الأمر إلى أنه يتجه شمالاً بدل أن يسير في اتجاه النهر إلى تشيلازيا. لمّا أدركت وجهته صرخت:

ـ أين تأخذني؟ لا أريد أن أذهب إلى منزلك... أرجوك دعني أنزل هنا! سأستقل الباص في المحطّة التالية.

لم يعرها أي انتباه بل تابع سيره.

ـ جيرار أنا جادة فيما أقول لن أذهب معك إلى منزلك.

ـ أريد أن أكلمك فقط.

ـ ليس هناك ما نقوله.

ـ بل هناك أشياء كثيرة علينا التحدث عنها.

ـ مثلاً.

ـ أخبريني عن تيو يورغيس.

نظرت إليه ستيفاني نظرة باردة وقالت بعد لحظة من الصمت: «ليس هناك شيء لأقوله بهذا الخصوص، لماذا تحاول أن تكرر عليّ السؤال ذاته؟»

ـ أكره الأسرار الغامضة. لهذا السبب أنا محام، أريد أن أستعرض الحقائق وأحاول فهمها. أخبريني هل كان بينك وبين تيو يورغيس علاقة!

ـ سبق أن قلت لك مراراً لم يكن بيني وبينه علاقة، كان رب عملي وحسب.

ـ من أين جاءت فيولا إذن بهذه الحكاية؟ ألم تطلق النار عليه عندما عرفت أن بينكما علاقة حميمة؟

ـ لم تكن فيولا امرأة موزونة أو بالأحرى لم يكن بيننا أية علاقة.

ـ ماذا تقصدين بعبارة أو بالأحرى.

صمتت ستيفاني لبعض الوقت وقالت في نفسها: هل سيصدّق إذا أخبرته الحقيقة أو هل سيعتقد أنها ألّفت هذه القصة لإقناعه ببراءتها؟ قررت أن تخاطر فماذا ستخسر.

قالت له:

ـ لم تكن فيولا غيورة مني بسبب تيو.

كان جيرار يقود سيارته بانتباه بين المنعطفات العديدة وعندما سمع كلامها حاول أن يتمهل ويعير كلّ انتباهه لما ستقول. فسألها بصورة عصبية:

ـ إذن بسبب من كانت غيورة منك؟

ـ بسببك أنت.

ثار غضبه وقال لها بصوت عالٍ:

ـ ماذا تحاولين أن تقولي بحق الله؟..

ـ هذه هي الحقيقة. في ذلك النهار جاءت إلى غرفتي صباحاً وهي ثائرة من الغضب. كنت بمفردي وأخذت تصرخ بوجهي وتهدّدني بالابتعاد عنك وقالت لي إنها سترميني بالرصاص إن وجدتني أتكلم معك. أخذت تضربني فحاولت الهرب منها ولكن قدمي علقت بالسجّادة ووقعت على الأرض، فراحت تركلني بقدميها حتى كادت تقضي عليّ. كنت أصرخ وأبكي من الخوف والألم عندما فُتح الباب واطلّ منه السيد يورغيس وركض لمساعدتي وراح يقول لي: ما بك يا حبيبتي الصغيرة؟ كانت المرة الأولى التي أسمعه يناديني بحبيبتي. أبعد

فيولا عني وعاد ليساعدني على الوقوف. كانت أثناءها قد دخلت إلى غرفته بسرعة وعادت والبندقية في يديها. صوّبتها إليّ لتقتلني، فحاول «ثيو» أن يبعدها وطلب إليها أن ترمي البندقية جانباً فتضاعف غضبها ورمته بالرصاص. أرادت أن تقتلني أيضاً فأعُمي علي. كان ذلك آخر ما تذكرته، لكنّها كانت كاذبة عندما ادّعت أننا كنا نتقاتل بسبب ثيو. لم يكن هو المعني بالموضوع بل أنت.

نظرت إلى جيرار فلاحظت علامات الغضب الشديد على وجهه. قالت له:

ـ ألا تصدقني؟ لا أدري لماذا أخبرتك الحقيقة. أرجوك دعني أخرج وأبتعدُ عنك، كفاني ما تحمّلت منك حتى الآن.

خفّف جيرار من سرعته وتوقّف جانباً، فنزلت ستيفاني من السيارة وتركت جيرار ينطلق إلى منزله.

* * *

٩ ـ تتبع قلبها...

بعد أسبوع على دخولها المؤسسة تركت جون العمل وأخذت ستيفاني تدير بنفسها مكتب الاستقبال. سرعان ما تكيفت مع عملها الجديد الذي لم يكن صعباً بل كان مُثيراً. كانت تهتم كثيراً بالزبائن الذين تقابلهم في المكتب وتحبّ قضاياهم المشوقة والمتنوعة، وكانت دقيقة في عملها وسريعة ومنظّمة.

أحبّت كثيراً الموظفين الذين تعمل معهم بمن فيهم إيموغين نفسها التي غيّرت معاملتها لزملائها، بعد رحيل جون. هنّأها السيد يومان على حسن عملها في الأسبوع الثاني على وجودها في المكتب وقال مبتسماً: «حافظي على جودة عملك الممتازة ستيفاني فنحن نتكل عليك في تسهيل عملنا».

عندما كان السيد يومان يخرج أو يعود إلى مكتبه كان باري يحاول تقليده فيردد كلامه بشكل مضحك: «حافظي على جودة عملك الممتازة، ستيفاني...».

اتكأ باري بيده على مكتب ستيفاني وهو يقول:

ـ هل تقدر أن تتناول طعام العشاء معاً هذا المساء يا حبيبتي؟

باري شاب غبي وصغير بالنسبة إليها، لكنّها تعزّه ولا تريد أن تجرح شعوره.

ـ عد إلى عملك.

فاجأه صوت جيرار الذي دوى من ورائه كالريح الباردة الآتية من الشمال، فقفز باري بسرعة من مكانه واختفى، أما ستيفاني فبدأت الطبخ وتوقف جيرار خلفها يراقبها ويزيد من توترها.

ثم قال:

ـ ألم تنتهي من طبخ هذه التعليمات؟

ـ أوشك أن أنتهي منها.

ـ أحذرك من تشجيع هذا الولد على الاقتراب منك!

ـ لم أشجعه.

وتابعت الطبخ متوترة الأعصاب.

أمسك جيرار فجأة ذراعيها ورفعهما وهو يقول لها:

ـ انظري إليّ عندما أكلمك! سنتناول العشاء هذا المساء. يجب أن أراك، فثمة أمور أريد أن أستفسر عنها لأنها ما تزال غامضة بالنسبة إليّ.

ـ ما هي هذه الأمور؟ لم تصدق شيئاً مما قلته لك. قلت لك الحقيقة ولكنك ترفض تصديقها.

ـ «أريد أن..» وشدّ بيده على قبضتها. إن كانت قصّتك الأخيرة حقيقية فلماذا لم تخبريها للمحكمة منذ خمس سنوات؟ لماذا لم تواجهي فيولا بالحجة والبراهين؟

نظرت إليه وقالت:

ـ لم أرد أن أقحمك في تلك المشكلة. كنت متأكدة أنّ براءتي ستظهر وأن ثيو لم يكن له أيّ دخل في الموضوع، لأن فيولا أرادت قتلي ثم قتله أيضاً. لم أرد أن أتكلم عن وعيدها وتهديدها بقتلي إذا لم أبتعد عنك، لم أرد أن يُذكر اسمك في هذه القضية أمام الناس.

ـ حتى ولو حطّم ذلك سمعتك؟

ـ لم أعلم أن ذلك سيحدث لي حتى وقفت في تلك المحكمة

ورأيت وجهك والطريقة التي كان الناس ينظرون فيها إليّ. لقد اتّهمت بعمل لم أقم به قطّ.

كان يراقبها بانتباه وهي تتكلّم وقبل أن يحاول مواصلة حديثه معها سمعا وقع أقدام فتركها جيرار وابتعد قائلاً:

ـ سآمرّ بك في شقة جوليا لأصطحبك إلى العشاء في تمام التاسعة.

عندما عادت ذلك المساء إلى الشقة كانت جوليا في غرفة الحمام تغنّي. نادتها ستيفاني من الخارج: «أنا هنا».

أجابت جوليا:

ـ لم أنتبه في بادىء الأمر إلى صوتك!

قالت ستيفاني وهي تضحك:

ـ ماذا كنت ستفعلين لو كنت أحد اللصوص؟

ثم دخلت إلى الشقة.

ـ هل ستخرجين هذا المساء؟

ـ أجل سأخرج هذا المساء مع زميل لي لتناول طعام العشاء. أنا أقوم بدراسات عن التسويق.

توقفت ثم أردفت وهي تضحك:

ـ لا تسيئي الظن بي.

دخلت ستيفاني إلى غرفتها وأخذت تنظر إلى خزانة الثياب علّها تجد الثوب المناسب لترتديه. كانت مترددة في الخروج مع جيرار للعشاء لأنها تخاف أن يشجّعه ذلك على إغوائها ولكنها كانت عازمة على عدم السماح له بتخطي حدوده. سمعت جوليا تخرج من غرفة الحمام فقرّرت أن تستحم هي أيضاً قبل أن ترتدي ثيابها.

سألتها جوليا متعجّبة:

ـ هل ستخرجين أنت أيضاً هذا المساء؟

لم تخرج ستيفاني منذ قدومها إلى شقة جوليا قط من المنزل ليلاً.

دخلت ستيفاني إلى غرفة الحمام بسرعة لتتحاشى أسئلة جوليا المحرجة أحياناً. سارت الأمور بينهما على أحسن ما يرام حتى الآن. كانت جوليا مسرورة جداً بمشاركتها الشقة لأنها أحبتها واطمأنت إليها. فهي عاقلة، ودودة ولطيفة.

أجبرتها جوليا مطولاً عن جيرار وعائلته وطفولته ومراحل حياته وخلفيات حياته، فاستنتجت أن جوليا تحبه ولكنها تناست هذا الموضوع لأنها لا تريد أن تخسر صداقتها ومحبتها.

كانت خارجة من الحمام عندما سمعت جوليا ترد على الهاتف، فقالت لها: «المخابرة لك».

تناولت ستيفاني السماعة وقالت: «هللو، من يتكلم؟».

عندما سمعت صوت أخيها روبرت أضافت: «كيف حالك يا عزيزي؟».

- بخير... كيف تسير الأمور معك؟

- شكراً! أنا على ما يرام. كيف حال غوين؟

- سرّت كثيراً برسالتك.

صمت روبرت لحظة ثم أضاف: «لقد عاد إيوان... إنه غاضب جداً ويريد أن يعرف مكانك. يريد مني أن أعطيه عنوانك بأقرب وقت».

ارتجفت شفتاها:

- لم تعطه عنواني أليس كذلك؟

- لا. أنا بانتظار موافقتك.

- روبرت! تعرف أنه يصعب عليّ مواجهته الآن. كنت أتكل عليك في حل المسألة معه وإقناعه بعدم مقابلتي ثانية.

- ماذا سأقول له؟ كيف تريدين أن أقنعه؟ هل تعتقدين أنه سيخاف

من الفضيحة ويغير موقفه إذا أخبرته الحقيقة؟ أنا أشعر بالأسف على إيوان الذي عاد من السفر فوجد رسالتك بانتظاره وكأنك توجهين له صفعة على وجهه.

- أنا آسفة. أتمنى لو أن هناك طريقة أخرى لبحث المسألة معه، ولكني لم أجد آنذاك سوى هذه الطريقة. هل تعتقد أنني أردت أن أؤذيه؟ تعلم خير علم أنني أحبه كثيراً وأحترمه في الوقت نفسه.

- يعتقد أن للقضية أبعاد وخلفيات ويبدو أنه لم يقتنع بما ذكرت في رسالتك لذلك يريد أن يواجهك شخصياً. هل تعتقدين أن إيوان سيرضى أن نقول له نحن آسفان فقط، من دون أي مبرر. إنه صديق عزيز عليّ. ماذا تنتظرين مني أن أفعل؟ على كل سأحاول ولكنّ إيوان غاضب كثيراً.

- ثم قطع المخابرة فجأة.

تأكدت ستيفاني أنّ روبرت غاضب جداً وإيوان كذلك ولكنها لا تستطيع أن تلومهما. لم يكن بمقدورها أن تحميهما من سلبيات ماضيها إلا بالابتعاد عن واي فيل.

رن جرس الباب فهبت ستيفاني ووقفت على مدخل غرفتها.

سمعت جوليا تقول لها: «افتحي الباب لأنني أرندي ثيابي».

لم ترد ستيفاني أن تفتح الباب على مصراعيه، لأنها ترتدي شورت قصيراً. اكتفت بفتحه قليلاً فظلّ هكذا معلقاً بالسلسلة المربوطة إلى المزلاج. رأت جيرار ينظر إليها متفحصاً وقال لها:

- ألست جاهزة؟ لماذا أنت متجهّمة الوجه؟ هل من خطب ما؟

قالت بصوت حزين والدموع في عينيها:

- لا. اتصل أخي روبرت ليقول لي إن إيوان عاد من السفر وهو يريد رؤيتي فإنه يحرجه بالأسئلة. كان روبرت غاضباً فأقفل الخط

www.rewity.com/vb
سنو وايت

فجأة. آسفة جيرار أشعر بتوعك وانزعاج ولن أستطيع على ما يبدو أن أخرج معك لتناول العشاء.

- لا بأس افتحي الباب وإلاّ بقيت أرن الجرس وأطرق على الباب حتى تفتحي.

خافت من عناده، فقالت له وهي تنزع السلسلة: «أنت بالفعل إنسان لا مبالٍ».

- أين جوليا؟

- ترتدي ثيابها، وأنا ذاهبة أيضاً لأرتدي ثيابي.

دخلت إلى غرفتها وراحت ترتدي ثيابها على عجل وفيما كانت تمشط شعرها سمعت جوليا تقول له:

- أوه! جيرار هذا أنت؟ كنت أتساءل عمن هو الشاب السعيد الذي قبلت ستيفاني الخروج معه إلى العشاء.

- وهل تصورت أنه شخص آخر غيري؟

ضحكت جوليا وقالت له:

- لا تحاول إزعاج ستيفاني فأنا أحبها كثيراً.

كانت ستيفاني واقفة خلف الباب فسمعت ما قالت جوليا لجيرار. نظرت إلى المرآة لترى إذا كان الثوب الحريري الأبيض الذي ارتدته لتوّها يتناسب مع سهرة العشاء. لأنها تحبّ أن يكون لائقاً يثير انتباه جيرار ويعطيها ثقة بنفسها.

عندما عادت إلى غرفة الجلوس وجدت جيرار بمفرده فسألته:

- أين هي جوليا؟

- ذهبت إلى الموعد.

كان جالساً على الأريكة، وقد نزع معطفه. بدا أنيقاً جداً ببذلته السوداء المخطّطة وبقميصه الحريري الأبيض وربطة عنقه الكستنائية.

أما شعره الأشقر فبدا ناعماً كالحرير، وأما عيناه الرماديتان فغرقتا في حلم عميق. قال لها:

- ستيفاني! تبدين رائعة في هذه الثياب وأحلى من العسل. لكن الثياب تخفي أشياء كثيرة. أليس كذلك؟

قالت بحزم: «وكذلك هي الوجوه. عندما قابلت فيولا لأول مرة بدت لي ودودة وحلوة المعشر. لم أدرِ قط أنها إنسانة مريضة ومحبطة، فالوجوه تغشّ أكثر من الثياب».

- أجل هذا ما اعتقدته... عندما سمعت كلام الناس ووشوشاتهم عنك وعن ثيو يورغيس صُدمت. هل تعتقدين أنني أردت أن أصدّق ذلك؟ ولكن فكري بالحجج والقرائن التالية، التي جعلت من القصة وكأنها حقيقة! أولاً فيولا رمت زوجها بالرصاص وقتلته. ثانياً الخادمة التي هرعت إلى الغرفة عندما سمعت أزيز الرصاص فوجدت ثيو جثة هامدة ممددة فوقك، فاعتقدت في بادئ الأمر أنّ فيولا قتلتكما معاً برصاص البندقية. ثالثاً أقسمت فيولا أمام المحكمة أنّها رأتك بين ذراعي زوجها. رابعاً أقسمت فيولا أن زوجها هددها بإدخالها إلى مصحّ للأمراض العقلية لكي يستطيع الانفراد والزواج بك. لقد سمعت كل ذلك من فيولا ومن الخادمة ومن رجال الشرطة وكانت كلها متطابقة.

- ولكنّك علمت أنّ فيولا امرأة غير طبيعية، وعلمت قصة مرضها العقلي.

- لكن ذلك لا يجعلها إنسانة مجرمة. كانت نوبات مرضها متقطعة ولم تحاول قط أن تهاجم أو أن تؤذي أحداً. كانت تكسر الزجاج والنوافذ والأثاث ولكنها لم تؤذ أي شخص.

سكت قليلاً ثم تابع حديثه:

- إضافة إلى كل هذا، شعرت بغيرة قاتلة كادت تسلب عقلي

وتفكيري. كنت أجن وأكاد أمرض عندما أفكر فيك أنت وثيو. كان حكمي عليك منقاداً كلياً إلى عواطفي.

قالت له بخوف:

- هل تعني أنك تصدقني الآن؟

- أجل لم أعتقد في السابق بنسبة واحد بالمئة أنك بريئة ولكن لم تتح لي الفرصة لأراك وأتحدث إليك في هذا الموضوع.

- لم تجرّب قطّ.

- حاولت في البداية، ذهبت لرؤية أهلك فقالوا لي إنه ليس باستطاعتك أن ترى أحداً. علم رجال الشرطة أنني أعمل مع فريق الدفاع لذا رفضوا أن تتأثر شهادتك وإفادتك بأي شخص له علاقة بقضية فيولا بورغيس وبالأخص فريق المحامين. لم أستطع أن أراك حتى تاريخ المحاكمة وهناك في منصّة الشهادة وافقت أن ثيو بورغيس قد قال لك يا حبيبتي الصغيرة وكان ذلك اعترافاً بالذنب واعترافاً بأن ثيو مغرم بك.

- أنا أكيدة أنه لم يكن كذلك، لأنه قبل تلك الحادثة لم تبدر منه تجاهي أية كلمة أو حركة أو إشارة تدلّ على أنه كان واقعاً في حبي.

- ربما علم أنه لا حظّ له معك وأن من المستبعد أن تحبيه ولكن ذلك لا يعني أنه لم يكن مغرماً بك. كان ثيو رجلاً تعساً وحيداً، لذا من الطبيعي وهو يراك طوال الوقت أمامه أن يتعلّق بك.

نظرت ستيفاني إلى الأرض وقد بدت عليها علامات الحزن والألم لأن تلك المأساة قد حطمت حياتها وجعلتها سوداء لمدة عدة سنوات ولا تزال حتى الآن تلاحقها وتنعكس عليها.

- ماذا أخبرك روبرت على الهاتف؟

- أراد أن يخبرني أنّ إيوان قد عاد من السفر وأنه يريد أن يعرف

عنواني. فقلت له إنني مضطربة ولا أقدر أن أواجهه فغضب. آه! لم أقترف أي خطأ... كنت فقط في المكان غير المناسب وفي الوقت غير المناسب ولكنني كنت بريئة. لذلك وبسبب تلك الصدفة المؤلمة لا أقدر أن أهرب من الماضي. لا أعلم ماذا عليّ أن أفعل! أنا حزينة لأن أخي غاضب مني مع أنه يعلم أن لا طريقة لحل هذه المشكلة مع إيوان إلا بالابتعاد عنه ولكنه لا يزال يضع الملامة عليّ فحالتي كما ترى ليست على ما يرام.

سألها جيرار بقلق:

- هل تحبين إيوان كاميرون؟

ظلت صامتة.

عاد ثانية وقال لها: «ستيفاني أخبريني هل تحبين حقاً إيوان؟».

- أي فرقٍ سينتج عن ذلك إذا كنت أحبه؟

- أستطيع أن أقابل إيوان وأشرح له وضعك وأعطيه الفرصة ليختار.

كان صوته بارداً.

- كيف تريد أن تواجهه الآن وقد قلت سابقاً إنني يجب أن أبتعد عنه وهددتني لأتركه؟

- ما كان يجدر بي أن أفعل ذلك. لقد تصرّفت بعاطفتي لا بعقلي. عندما قرأت رسالة السيدة كاميرون وتأكدت أنك على وشك الزواج بابنها، علمت فوراً أنك لم تخبريه عن قضية آل بورغيس. أعرف عائلة كاميرون منذ زمن بعيد وأعرف جيداً طبيعتهم وأعرف أن السيدة كاميرون لا تسمح أبداً أن يتزوج ابنها بفتاة تسبّبت بفضيحة أخلاقية، ففكرت أن من واجبي أن أذهب وأضع حدّاً لهذا الزواج... كنت قد أقنعت نفسي أنه لدي أسباب وجيهة لأفضح قصة مغامرتك العاطفية مع

ثيو. كنت مستاءة جداً ومشمئزاً لأنك كذبت عليهم ولم تطلعيهم على ماضيك. ولكن بيني وبين نفسي علمت أنها لم تكن دوافعي الحقيقية. الحقيقة الوحيدة هي أنني شعرت بغيرة محرقة ولم أستطع أن أتقبل فكرة أن تكوني لإيوان كاميرون.

- ولكنك الآن تعرض عليّ أن نلتقي من جديد. إنك تحيّرني.

- أريد منك أن تكوني مقتنعة كل الاقتناع بقرارك وأن تعرفي جيداً ماذا تريدين. عندما قرأتُ رسالة أمي اندفع الدم إلى رأسي وكدتُ أفقد عقلي. بعد المحاكمة كنت غاضباً جداً ومتردداً أن أراك ولكنني لم أنسك. فكرت دائماً بتلك القضية وعرضتها في هواجسي وأفكاري. كان في أعماقي شعور خفي يدفعني إلى الشك بصحة تلك القصة. اعتقدت أن فيولا صادقة في أقوالها وأحياناً أخرى فكرت في أنك بريئة وقلت في نفسي لا يمكن أبداً أن يكون هناك أي علاقة بينك وبين ثيو. كانت عواطفي ومشاعري توجّهني، ما كنت أفكر بعقلي بل بقلبي، كنت غيوراً جداً ومصدوماً. ما كان يجدر بي أن أسمح لعواطفي بالتحكم بعقلي وتفكيري.

- في مطلق الأحوال أعتقد أنك كنت على صواب بخصوص إيوان. كان عليّ أن أواجهه بالحقيقة منذ البداية وعندما أقابله سوف أخبره كل شيء وأنا أكيدة أنه بعد ذلك سيتركني ويبتعد عني.

- ستيفاني! وهل ترضين بذلك إذا كنت فعلاً تحبينه؟

- أنا لا أحبه. سبق أن قلت لك ذلك. لم ينفطر قلبي لأنني لن أقدر أن أراه بعد الآن، نعم أفتقده لأنني كنت متعلقة به، وأوشكت أن أتزوجه ولكن لم أشعر نحوه بذلك الحب العاصف، الحب الذي كنت تتكلم عنه الآن. لم أكن أتبع قلبي بما يختص بإيوان بل كنت أتبع عقلي، ربما تلك غلطتي.

نظر إليها جيرار وعيناه تضحكان من الفرح، وقال لها:

- ربما أنت على حق.

اقترب منها ووضع ذراعه على كتفيها.

نهضت بسرعة وقالت له: «أعتقد أننا كنا ذاهبين لتناول العشاء».

نظر إليها جيرار بحدة، ونهض هو أيضاً:

- بالتأكيد، لقد حجزت طاولة في مطعم كابريس.

- سأجلب سترتي، إنها في غرفتي.

علمت أن جيرار سيحاول معانقتها فأرادت أن تبتعد لتختبره ولتعرف حقيقة شعوره، كانت هي بدورها قد أحسّت بذلك الشعور الخفي يعود إلى قلبها من جديد عندما شاهدته لأول مرة ينزل من السيارة ويدخل إلى الفندق. طالما شعرت أن نظراته تنفذ إلى أعماق قلبها. ولكنها رفضت أن تصدّق ذلك، أقنعت نفسها طوال هذا الوقت أنها تستطيع أن تحبّ إيوان وتتزوجه، وأن تبني لها حياة سعيدة جديدة وهادئة. لكنها أغمضت عينيها عن الحقيقة وبنت قصوراً من رمال. كانت تكذب على نفسها عندما ادّعت أنها نسيت جيرار وأنها لم تعد تهتم به.

عندما شاهدته من جديد أحسّت بصدمة تهزّ كيانها، وشعرت بإحساسات خفية تراودها. أحسّت بسعادة ضائعة افتقدتها، كانت ترتعش وتحترق عندما يضع أنامله عليها، فتحاول أن تقاوم مشاعرها وقلبها لأنها ما تزال مضطربة وخائفة.

لم تشعر قط وهي قرب إيوان بهذه المشاعر... كانت دائماً هادئة وباردة.

أخفت مشاعرها عن جيرار لأنها رفضت أن تظهر ضعيفة أمامه. كانت تضطرب كلما عانقها، لكنها تخاف أن تقدم له قلبها خاصة وهي

غير متأكدة بعد من حقيقة مشاعره. في البدء خافت من عدائيته واعتقدت أنه يكرهها ويريد أن ينتقم منها. لكنّ غريزتها الأنثوية دلتها منذ اللحظة الأولى التي عاد فيها إلى حياتها أنه لا يزال يريدها. . . ولكن لماذا؟

لذلك تركت مسافة بينها وبينه لتعرف إذا كان يريدها ليرضي رغباته أم أنّ دافعه هو أبعد وأسمى من علاقة عابرة؟

* * *

١٠ ـ العيون لا تكذب

بدا لها أنّ هذا العشاء سيغيّر مجرى حياتها. . . لم تشعر يوماً بمثل هذا الشعور. كانت تراقب كل حركة من حركاته وكل نبرة في صوته وكل تعبير في نظراته. . . كانت جالسة أمامه على الطاولة على بعد خطوات لكنّ قلبها يرتعش كلما نظر إليها.

وقف جيرار فجأة ووضع إحدى يديه على عينيها والأخرى فوق الطعام وسألها:

ـ ماذا تأكلين؟ أخبريني ماذا في صحنك؟

كانت عيناه تضحكان.

أجابته: «لا أريد أن تقوم معي الآن بإحدى ألاعيبك. أنا أتناول سمكاً».

لم تكن تنظر آنذاك إلى صحنها، فجأة التفتت فوجدت فيه شريحة من لحم العجل مع صلصة لذيذة. . فضحك جيرار وهو ينظر إليها.

ـ حسناً كنت أفكّر في شيء آخر.

ـ وأنا كذلك. . . لم أشعر مثلك بوجود الطعام حتى نظرتُ إليكِ فوجدت عينيك زائغتين.

ـ لم أكن حقاً جائعة ولكن يبدو أنني. .

واختنق صوتها حين لاحظت أن جيرار ينظر إليها نظرات تساؤل عميقة.

جاء الخادم ليأخذ الصحون فسألها: «أي نوع من الحلوى تفضّلين سيدتي؟»

ـ شكراً لا أريد شيئاً.

أجابه جيرار: «فنجان من القهوة لكلٍّ منا».

بعد نصف ساعة كانت إلى جانبه في السيارة يتجهان نحو شقتها. كان الصمت يخيّم عليهما لكنّه صمت مُفعم بالمشاعر الخفية.

لدى وصولهما أمام الشقة قالت له: «أشكرك كثيراً على العشاء، أراك غداً».

أمسك بيدها وهي تحاول الخروج وناداها «ستيفاني»..

قالت له: «أرجوك أنا مرهقة ليس بمقدوري تحمّل المزيد».

فكّرت لبرهة أنه سيتجاهل ما قالت له إذ كان ينظر إليها بصمت وتعابير غامضة على وجهه. لكنّه ترك يدها فجأة، فترجلت من السيارة وراحت تمشي بسرعة نحو الشقة. لدى وصولها أمام الباب لاحظت خيالاً يتحرك في الظلام فصرخت من الخوف. لأول وهلة ظنت أنه شخص غريب سارق يريد الاعتداء عليها، لكنّه عندما اتجه نحو الضوء ظهر وجهه فإذا هو إيوان.

ـ أنتظرك منذ ساعة، أين كنت؟

نظرت خلفها فرأت سيارة جيرار تبتعد. أحسّت بنوع من الاطمئنان لأنها تفضل عدم وجوده في هذه المقابلة الصعبة مع إيوان فوجوده سيزيد الأمور سوءاً.

فتحت الباب وطلبت من إيوان الدخول. وجدت أن جوليا ما تزال خارجاً، فشعرت ببعض الراحة إذ سيصعب عليه الكلام بحضورها.

سألته: «كيف جئت إلى هنا خلال الليل؟»

أجابها:

ـ تركت واي فيل الساعة الخامسة والنصف ووصلت إلى هنا في الساعة السابعة والنصف ومنذ ذاك الوقت وأنا أنتظرك.. وأيتك تنزلين من سيارة صديقك.

تبين لها أن إيوان لم يتعرف إلى هوية السائق. قالت له:

ـ لماذا تقف؟ أرجوك اجلس! ماذا تفضل أن أقدم لك؟

نزع معطفه وجلس على الأريكة.

ـ لا بأس بالقهوة.

أسرعت ستيفاني تعدّ القهوة وبعدما أعدتها عادت إلى الغرفة وهي تحمل فنجانين من القهوة.

جلست بعصبية قربه، وسألته:

ـ كيف وجدتني؟

ـ أعطاني روبرت عنوانك.

لمح على وجهها علامات الضيق، فقال لها:

ـ أجل، أعلم أنك طلبتِ منه عدم إعطائي عنوانك ولكني أقنعته بالعكس لأنني كنت مصمماً على رؤيتك وجهاً لوجه فقلت لروبرت إنني سأضطر أن أكلّف تحرياً خاصاً بالتفتيش عنك. عندئذ أخبرني كل القصة.

ارتعدت من الارتباك وسألته مرددة: كل القصة...

ـ أجل أخبرني كل قصتك مع آل يورغيس: الجريمة والمحاكمة والتهم التي وُجهت ضدك.

ـ يا إلهي! لماذا فعل ذلك روبرت؟

ـ ستيفاني أرى أنك لم تعرفيني جيداً كما أعرفك وأفهمك. لماذا تحاولين تعظيم الأمور في مخيلتك؟ لماذا تخافين من قول الحقيقة؟ ألم تكوني واثقة مني؟

www.rewity.com/vb سنو وايت

نظرت إلى الأرض وهي تقول:

- أنا آسفة جداً إيوان لأنني سببت لك الأذى. لم أرد ذلك قط، ولكن لم يعد باستطاعتي أن أبقى. ربما أنت شخصياً لن تصدّق أنه كان بيني وبين ثيو علاقة، ولكن معظم الناس سيصدّقون بسرعة. لو حصل ذات يوم أن تعرّف إليّ أحد ونشر الخبر في المدينة لسبب ذلك اضطراباً وإرباكاً لك ولعائلتك. لن ترضى أمك أبداً بفتاة متورطة بهكذا تهمة.

- دعي أمي خارج الموضوع، فالأمر يتعلّق بي. أريد منك أن تعودي معي. لا يمكنك أن تهربي من هذه المشكلة، بل عليك أن تواجهيها وتنتصري عليها. لا تقلقي على والدتي التي سترضى بالواقع عندما ترى أنني مصمم على ذلك. سنتعاون معاً على إقناعها.

رأت ستيفاني أنّ إيوان عطوف ومتفهم، ولكنه كان يتجاهل حقيقة عائلته ووضعها الخاص في تلك المدينة الصغيرة. هو يتصرف الآن وفق شعوره وإحساسه ويتناسى الواقع، لقد هربت لأنها لم تعد قادرة على تحمل كلام الناس مرة أخرى وخصوصاً في واي فيل المدينة الصغيرة المحافظة حتى ولو كان إيوان يريدها.

ترك إيوان فنجانه على الطاولة وجلس على كرسي أمامها وقال لها بلطف وهدوء:

- ستيفاني أطلب منك الموافقة على الزواج بي. حاولت أن أقول لك ذلك منذ وقت طويل وتأخرت وها أنا أطلب يدك اليوم. يجب أن تعلمي أنّك غالية جداً على قلبي وأعتقد أننا سنكون سعيدين معاً.

فجأة رنّ جرس الباب بعنف.

اضطربت ستيفاني وطلبت من إيوان أن يبقى مكانه وأن لا يفتح الباب.

سألها:

- لماذا أنت مضطربة وخائفة؟ لماذا لا تفتحين الباب؟ من الطارق على باب شقتك في هذا الوقت المتأخر من الليل؟ هل هي عاملة التنظيف؟ أم شريكتك في الشقة؟

تواصل رنين الجرس بشكل عنيف، في هذا الوقت كانت ستيفاني مترددة على الرغم من إلحاح إيوان عليها حتى تفتح الباب. لأن حدسها أنبأها أن الطارق هو جيرار ولا أحد غيره، وهي تشعر ذلك من طريقة إلحاحه ومن صوت الجرس المتواصل العنيد. وعلمت في الوقت ذاته أن روبرت لم يخبر القصة كلها لإيوان، لم يتكلم قطّ عن جيرار وعن مجيئه إلى واي فيل بغية تهديدها. لماذا ظلّ روبرت متحفظاً بهذا الخصوص؟ أجل، لأنه لا يريد أن يعرف إيوان أنّها متورّطة مع جيرار.

تضايق إيوان من رنين الجرس المتواصل ومن تردد ستيفاني المستمر وتعجّب من تصرّفها وقال لها وقد بدأ الشك يراود قلبه:

- لماذا تخافين من فتح الباب؟ هل من خطب ما؟ هل هناك شخص تنتظرينه ولا تريدين مني أن أعرف ذلك؟ هل قابلت شخصاً آخر هنا ستيفاني؟ هل هناك رجل آخر في حياتك؟ لم يذكر لي روبرت أي شيء من هذا. يجب أن يكون هناك تبرير وسبب معقول لعدم فتحك الباب.

حاولت عبثاً أن تجد سبباً وجيهاً لتردّدها ورفضها ولكنها تأخرت لأن إيوان اندفع وفتح الباب بسرعة وعنف بينما كانت تتوسّل إليه ألا يفتح الباب. اندفع جيرار بسرعة من وراء الباب وأصبح في وسط غرفة الجلوس بلحظة.

نظر إليه إيوان وقد تملكه العجب وهو يقول: «لا يمكن أن تكون أنت؟»

كان جيرار مضطرباً ومنفعلاً يحاول أن يستعيد أنفاسه ليستطيع أن

يتكلم.

ـ لو لم أتمكن صدفة من رؤيتك عبر مرآة السيارة لما رجعت، ولم يكن باستطاعتي العودة بعكس السير فاضطررت أن أقطع مسافة طويلة لأتمكّن من تغيير اتجاهي والعودة إلى هنا.

قاطعه إيوان:

ـ ماذا تفعل هنا بحق الله؟

أجابه جيرار ببرودة:

ـ كنت أحاول أن أطرح عليك السؤال ذاته.

ـ لم أعلم أنك تعرف ستيفاني.

ابتسم جيرار وهو ينظر إليه بنوع من التحدي. تضايق إيوان من هذه النظرة المستهجنة فمع أنه لا يحب العنف والمواجهة لكنه لا يرضى أبداً أن يكون مدعاة للسخرية والاستهجان وخصوصاً من شخص كجيرار.

ـ لماذا كنت ترنّ على الجرس بهذا الشكل العنيف في هذه الساعة المتأخرة من الليل؟

أجابه جيرار بنوع من السخرية:

ـ أردت الدخول.

ثم وجّه كلامه إلى ستيفاني:

ـ لماذا لم تفتحي الباب بسرعة؟ ماذا كان يجري بينكما؟

لفت كلامه انتباه إيوان، فنظر إليها بتجهّم وسألها بدوره:

ـ لماذا هو هنا؟ لقد التقيتِ به مرة واحدة في منزلنا أليس كذلك؟

ثم استدرك قائلاً: «لقد قال للتو إنه اضطرّ أن يقود بعيداً ليعود إلى هنا. هذا يعني أنّ السيارة التي شاهدتك تترجلين منها هي سيارته؟ هل أمضيتِ السهرة معه طوال الليل؟ هل كنت تقابلينه طوال هذه المدة في لندن؟»

نظر إليها ببرودة وغضب لا يصدّق ما يجري، أما هي فصمتت صمتاً تاماً.

عاد إيوان يسألها:

ـ هل جئت إلى لندن بسببه؟ أدرك الآن لماذا لم يخبرني روبرت هذا الجزء من القصة.

تدخّل جيرار وقال لها:

ـ أراد أخوك على ما يبدو أن ينتر الحصى.

نظر إليه إيوان وقال:

ـ أيعني ذلك أنّك على علم بكل شيء؟

التفت إلى ستيفاني متعجباً: أخبرته قصتك ولم تتجرئي على إخباري بها.

كانت ترتجف وأجابته:

ـ آسفة! ليست المسألة كما تظنّ.

نظر إليها جيرار وقال:

ـ إذا كنت خائفة أن تتشاجري معه فدعيني أتكفّل بالأمر... لست مضطرة إلى تبرير أي شيء له.

زمجر إيوان ولبط الأرض بقدميه وكأنه يريد أن يضربه.

أرادت ستيفاني للحظة أن تتخلص من هذا الكابوس وتطلب إليهما أن يخرجا معاً من شقتها، لكنها فكّرت أن من حق إيوان أن يأخذ جواباً مقنعاً منها فجيرار هو سبب المشكلة كلها.

نظرت إليه وقالت له: «أرجوك أن تخرج، فأنا بحاجة إلى التكلم مع إيوان على انفراد».

نظر إليها بعينين تقدحان شرراً وانسحب إلى الخارج فأغلق إيوان الباب خلفه وعاد يقول لها:

ـ لست مضطرة أن تخبريني شيئاً غصباً عنك، ربما كنتُ على خطأ. لم يخبرني روبرت سوى قصة المحاكمة. لم أدر أن في حياتك رجلاً آخر.

ودت أن تخبره كل القصة وخلفياتها، لكنها قالت في نفسها أن من الأفضل أن يعتقد أنها تركته لأنها تحب شخصاً آخر فتنتهي الحكاية ويعود إيوان إلى منزله وتظل سمعته وحياته على ما يرام. نعم سيتأثر ولكنه سيتناسى ذلك مع الوقت. قالت:

ـ آسفة إيوان لقد مرّ عليّ نهار قاس.

ـ وأنا كذلك.

كان ينظر إليها متعجّباً كأنه لم يعرفها على حقيقتها أبداً وتابعت كلامها:

ـ كنت خائفة جداً. قلتُ لروبرت إن من الأفضل لي، ولك، ولأمك ولروبرت أن أبتعد عنك وأرحل بعيداً.

ثم طلبت منه بلطف:

ـ أرجوك إيوان إذا كنت تعزّ روبرت وتغار على مصلحته ومستقبله أن لا تذكر هذه القصة أمام أحد، حتى أمام والدتك، أرجوك عدني بذلك.

ـ سأفعل، أنا أحب روبرت ولا أريد أن أعقّد حياته وعمله. كلّ موظفي المستشفى يحبونه. لا أريد أن أقضي على مستقبله. أعدك بشرفي أنني سأظل صامتاً.

نظر إليها فرأت في نظراته نفسية أمه بالذات، وعلمت أنها لو حدث أن تزوجته فلن تكون سعيدة معه لأنها آجلاً أم عاجلاً كانت ستخبره قصة المحاكمة. فلن تستطيع أن تعيش كل حياتها في الكذب. ربما سامحها وتفهم قصتها لكنه سيفقد ثقته بها بعد ذلك. لأن الشك

سيظل يراوده طوال العمر حتى ولو آمن ببراءتها... ألم يشك في هذه الرحلة أن بينها وبين جيرار علاقة؟ فتح إيوان الباب وكان جيرار لا يزال واقفاً بانتظارهما. هجم فوراً إلى الداخل وأمسك إيوان بيده بعنف وقال له: «لن تعيدها أبداً معك... إنها لي».

ـ إذن ها أنا الآن أدرك بوضوح كل شيء، لقد صدق ظني.

ثم نظر إليها بتعالٍ وازدراء.

لم ترق لجيرار هذه النظرة، فاعتبرها إهانة لها وله. تملّكه الغضب فهجم على إيوان ووجّه له لكمة قوية كادت ترميه أرضاً.

أراد إيوان أن يواجهه بدوره ويلكمه بقبضته، فصرخت ستيفاني برعب: «أرجوك إيوان لا تلكمه انتبه إلى يديك».

فتوقف وقال:

ـ لا أريد أن تتّسخ يدي بأمثالك.

حاول جيرار أن يقطع عليه الطريق ليضربه من جديد. فصرخت ستيفاني:

ـ كفى، كفى، لا يمكنك أن تفعل ذلك، إنه طبيب جراح يعتمد في مهنته على يديه.

ـ لقد شتمكِ.

ـ كان غاضباً... هل يمكنك أن تلومه؟ لماذا لم تعد إلى المنزل؟ لماذا وقفت تنتظر خلف الباب؟ لماذا لا تتركني بسلام؟

فقاطعها:

ـ هل سيعود إلى هنا؟

ـ حسناً ماذا تعتقد؟ هل تريد منه أن يعود؟ لقد سئمت من هذه القصة جيرار. عد إلى المنزل ودعني بسلام.

ـ لا، لن أرجع قبل أن أعلم أين أقف.

رددت بغضب:

- أين تقف؟ أنت تتكلم عن إيوان. لقد رأيته لتوّك الآن. ما هو شعورك نحوه؟ كيف تجرأت وقلت له إنني لك؟ هل تدرك ماذا تعني هذه العبارة بالنسبة إليه؟ وهل فهمت لماذا نظر إليّ بازدراء؟ لقد ظن أنني أطارحك الغرام.

اقترب جيرار منها وهو يردّد: «أنا أعني ما أقول... أنت لي... أصبحت ملكي من المرة الأولى التي رأيتك فيها، لستُ بحاجة للتوصل إلى هذا الحد لتصبحي ملكي. أحسّ وأرى أن شعورك هو كشعوري أليس كذلك؟».

- لا، أنت كاذب. لماذا تحاول دائماً أن تجعل حياتي مضطربة؟

راح جيرار يلثم جفون عينيها بلطف ورقة.

- أرجوك جيرار ستعود جوليا بين لحظة وأخرى.

حاولت أن تبتعد عنه لكنّها لم تستطع أن تحرّكه من مكانه.

- لا تهتمي بجوليا فهي لن تعود إلى هنا باكراً فأنا أعرفها جيداً.

وراح يعانقها بشغف.

- أرجوك جيرار يجب أن تخرج.

أحسّت أنها لن تتمكّن هذه المرة من مقاومته ومقاومة عواطفها. بينما كان يعانقها بحرارة وشغف راح يوشوشها في أذنيها: أريدك ستيفاني، أريدك بكل جوارحي. أحبك. لقد أحببتك من النظرة الأولى... خسرتك خمس سنوات بسبب تفاهتي وقلة إدراكي، ولكني لا أريد بعد الآن أن أخسر لحظة واحدة من وقتي الثمين معك يا حبيبتي وحياتي.

حاولت الابتعاد لتتأكد من حقيقة شعورها. وتمتمت: لست متأكدة.

- أنت لستِ متأكدة من ماذا؟ من الزواج بي؟ أم من حبك لي؟

أخذ وجهها بين يديه ونظر إليها بحنان ثم عانقها بشغف، وكأنه يريد أن يعوّض عن السنين الخمسة التي خسرها.

لم يعد بإمكانها أن تفكر. كانت مشاعرها المضطربة تسيطر على كل شيء فيها. نهض جيرار عن المقعد وحملها بين ذراعيه ثم جلس على الأريكة وأجلسها قربه ثم راح يردد ويردد وهو يعانقها «أحبك، أنا أحبك...».

قالت بصوت منقطع: هل تحبني أم تريدني؟ قلتَ لي في ذلك اليوم الذي تقابلنا فيه في الفندق أنك تريدني. كنت تهددني، فاقتنعت وتأكّد لي أنك تريد جسدي، تريد أن تنتقم! لم تذكر قطّ أنك تحبني، كيف تريد مني أن أعرف الآن ماذا تعني؟ وربما تحاول أن تغريني لتحقق انتقامك.

- كنت غاضباً جداً ذلك النهار وغيوراً... لم أكن أدري ما هو شعوري. كانت الغيرة تعمي فؤادي وأنا أفكر فيك وفي ثيو من جهة وأفكر من جهة أخرى أنك على وشك أن تتزوجي وذلك يعني أنني سأخسرك إلى الأبد. كنت أشعر أنك لا تحبّينه من كل قلبك وأنك لا تزالين لي. شعرتُ بذلك في اللحظة الأولى عندما نظرتِ إليّ في تلك السهرة. أدركتُ أنّ مشاعرنا متبادلة، لا يمكنك أن تكذبي على نفسك وعليّ أيضاً. لقد رأيتُ ذلك في عينيكِ.

كانت ترتجف، وقالت له بحنان:

- إذن لا ينقصني بعد كلّ ما عانيت سوى الحب.

- أجل لقد أحببتك من النظرة الأولى وكنت كلّما نظرت إليكِ تتجدّد مشاعري ويقوى حبي لك. نحن خُلقنا لبعضنا يا حبيبتي.

كان قد احتواها بين ذراعيه وجذبها بقوة نحوه وضمّها إلى صدره

فشعرت أنهما يشكلان حقاً روحاً واحدة وجسداً واحداً. كان قلبها وكل جزء من جسدها يقول لها ذلك. كانت مشاعر عاتية تحرق جسدها وقلبها. وهو يلح عليها:

ـ حبيبتي قولي لي كلمة صغيرة، قولي إنك تحبينني.

فأجابته بصوت خانت حنون:

ـ أنا أحبك يا حياتي، ولم أحبب غيرك أبداً، وأظنّ أننا لم نعد بحاجة إلى الكلام الآن في هذه اللحظات.

* * *

البَاقَة المقبلة مِن أحلام

www.rewity.com/vb
سنو وايت